من مفاهيم القرآن
في السلوك الفردي والاجتماعي

السيد عدنان الدرازي





للطباعة والنشر والتوزيع



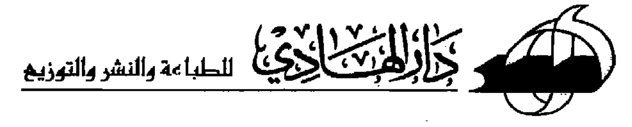
من مفاهيم القرآن

في

السلوك الفردي والاجتماعي

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م



هاتف: ٥٥٠٤٨٧/٠١ - ٨٩٦٣٢٩/٠٣ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٨٦/٢٥ غبيري - بيروت - لبنان
TeL:03/896329 - 01/550487 - Fax: 541199- P. O. Box: 286/25 Ghobeiry - Beirut - Lebanon
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

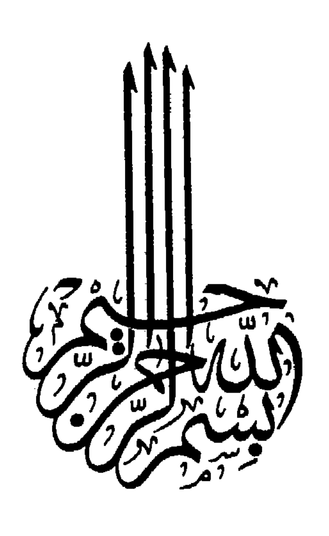
من مفاهيم القرآن

في

السلوك الفردي والاجتماعي

تاليـف
سيد عدنان الدرازي




بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ

تفضل علينا المربي والأستاذ والأديب والخطيب الألمعي سماحة الشيخ جواد حسن السرور بهذا التقريظ مباركاً لنا تأليف هذا السفر المتواضع؛ والذي جاء فيه:

الحمد لله الوهّاب للعطيات، مجيب الدعوات، منزل البركات، ناشر الرحمات؛ غافر السيئات، مضاعف الحسنات، دافع البليات، كشّاف الكربات، ولي الباقيات الصالحات، ولي الحمد وصاحبه، أحمده وأؤمن به وأتوكل عليه وأثني عليه الخير كله، فلا ملجأ منه إلاّ إليه. بيده الخير وهو الغفور الودود والفعّال لما يريد.

والصلاة والسلام على خيرته من بريته وأشرف خليقته وسيّد رسله المنتجب المصطفى وعلى آله السادة الشرفا أهل الصدق والوفا صلاة دائمة؛ لا حصر لها ولا انتهاء، وعلى من تبعهم واهتدى بهديهم إلى قيام يوم الدين وبعد. . .

فها قد طالعنا السفر الثاني ـ لصاحب الفضيلة الشاب الأديب ذي اللُّب اللبيب السيد عدنان بن السيد شرف الدرازي ـ بعد أن قدّم لنا

كتابه، الأول الموسوم بمقالات إسلامية بارك الله في مؤلفهما وزاده هدى وتوفيقاً وأطال عمره لخدمة أهداف الرسالة والرسول وأهل بيت الرسول ﷺ مؤطرة بالمعقول والمنقول، وقد أسماه بـ «من مفاهيم القرآن في السلوك الفردي والاجتماعي» وإنَّه والحق يقال لسفر قيم صغير في حجمه كبير في مادته ومعناه وعطائه، وما أحوج شبابنا وشابّاتنا إلى تتبع هذه العطاءات القيمة وما فيها من مضامين عقائدية وفكرية شاهدة على صدق المدعى من شمولية القرآن الكريم واستيعابه لجميع شؤون الحياة سواء كانت فردية أو اجتماعية سياسية أو تربوية منظمة لخلايا المجتمع البشري ليصبح مجتمعاً منسقاً مترابطاً يشدّ بعضه بعضاً، إذن نحن جميعاً في حاجة ماسة إلى معرفة التاريخ العقيدي الصافي الذي رسمه لنا نبينا ﷺ وأئمتنا الهداة عليهم السلام من خلال مطالعاتنا ودراساتنا والتدبّر في قراءة النصوص الشريفة من آيات وأحاديث أو روايات من آثار طيبة في قولبة سلوك الفرد وسلوك الأسرة وبالتالي سلوك المجتمع ككل، نعم إنها تفتح للإنسان المسلم آفاقاً وآفاقاً كان قد أغفلها أو سدر عنها قبل ذلك، ومن عاش جاهلاً لدوره في الحياة عاش فاقداً لمعنى الحياة؛ يصفهم الله تبارك وتعالى بأنَّهم كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً، نعم هم أضلّ سبيلاً من الأنعام التائهة في متاهات الشهوات واللذات الزائفة سريعة الانقضاء دائمة الإثم مرّة العاقبة. .

أمَّا الذين ترسموا درب الهدى وجانبوا طرق الهوى وتبعوا من أمروا باتباعهم واقتفاء آثارهم واستضاؤوا بأنوارهم كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به يستضيء بنور علمه» فهؤلاء هم الناجون الناجحون المفلحون الفائزون.

وما كل رام مصيب برميته وما كل مجتهد واثق من دليله بدلالته إذ أنَّه لربما يقع في خطأ واحتمال الإصابة موجود لذلك قيل: «إن اجتهد فأصاب الحق فله حسنتان وإن أخطأ فله حسنة» ولربما هذا القول خاص مقيد بعلماء الدين الذين وصلوا إلى مرتبة الفقاهة أو الاجتهاد أمَّا بقية الصنّاع كالمؤلفين والكتّاب الآخرين فهم يعرضون آراء وأفكار كانت تعيش في نفسياتهم؛ ولا شك أنَّه من الغث والسمين؛ فما كان مبنياً على قواعد رصينة من الفكر الملتحم بالفطرة الصافية والمنطق السليم فشواهدها تكشف عن صدق دعواها، وسلوكيات متبنيها توضح الغرض من عرضها؛ فتصغي لها الأذان سميعة وتتوجه لها الأبصار بصيرة وتهواها الأفئدة مذعنة..

يروى عن عيسى بن مريم عليه السلام: «ربَّ كلمة أحيت سامعها بعد الموت.. ونبهته بعد الغفلة.. وأيقظته بعد السِّنة..».

فما شأن هذه الكلمة وما حجمها وما نوعها؛ هذه الكلمة المشرقة التي تعطي كل هذا العطاء. دعني أيها القارىء الكريم وإيّاك نبحث عن هذه الكلمة بحثاً جاداً واثقين من الأثر لنطلب المؤثر؛ فما كل ما كتب يقرأ ولا كل ما كتب يهمل ويلغى ولا تنظر إلى من قال بل أنظر إلى ما قال لتعرفه من خلال قوله لا من خلال بزته وطوله وعرضه ولونه فقد يأتي جميل بقبيح وقبيح بجميل من الأقوال والفعال..

وقد يجتمع لفرد ما أو لأكثر من أفراد البشر صفات كثيرة من الخير بما هو خير أو عكس ذلك..

ولا أريد أن أُطيل القول ـ وإنِّي لأحيل القارىء المنصف وأوكله إلى إنصافه إلى التروي وعدم الاستعجال في تدبّر ما ورد في هذا الكتاب القيم فلا نظلم صاحبه حقّه ولا نعطيه فوق ما يستحقه بل نعدل فإن

العدل إعطاء ذوي الحقوق حقوقهم والظلم هو المنع كما أشار لذلك جواب أمير المؤمنين عليه السلام عندما سأله سائل عن معنى العدل . .

وإنِّي لمست ولا زلت ألمس من السيد مؤلف هذا الكتاب الأمانة والحذر والحيطة من الوقوع في الشبهات في النقل والتركيز في وجهات النظر، وآمل أن تكون هذه النعوت ملازمة له في جميع ما يقدم من عطاءات غنية بالفكر الصافي المتصفة بالعلمية القيمة، وإنِّي لمقدر لما تتطلبه هذه الأبحاث من جهد وعناء متلازمين؛ فإنَّها لا تنال الفوائد إلاَّ بارتكاب الشدائد.

والله أسأل لي وله ولكل سائر على درب الهدى الموفقية والسداد والتأييد بقبول العمل الصالح، وغفران الذنوب وستر العيوب وكشف الكروب إنَّه رحيم ودود.

ولقد رأيت أن أضيف إلى هذه الكلمة الموجزة بعض أبيات شعر وتأريخاً لعام طبع الكتاب وإن لم أكن شاعراً راجياً من المولى القدير أن يجعل ذلك في محل القبول . .

الأبيات

ما كل من يتعب يلقى النعيم	فالشرط بالإخلاص حتماً مقيم
كم صائم ليس له غير أن	يظمى كمن جاء بفعل ذميم
وقائم في ليله مرهقاً	فيشهد الصبح بقلب سقيم
وعكس هذا مخلص في الورى	يتهم النفس فيرجو الرحيم
يرجو ويخشى وهو في حالة	بين الرجا والخوف شبه الكظيم
يعيش آمالاً فيسعى لها	وينظر العدل فيخشى الجحيم
ويسأل الله له رحمة	تضاعف الأجر وترضي الغريم
يا حبذا من حاربوا أنفساً	فاستعذبوا الصبر لنيل النعيم
فعانقوا اللَّيل وطول العنا	فكلهم تلقاه شوقاً يهيم
في حبه لله يحيا وقد	أيقن أنَّ الجسم يغدو رميم
والروح تسمو بفعال الفتى	وتعشق المجد لخير عميم
عاشوا بعيداً عن مهاوي الهوى	وعن أحابيل اللعين الرجيم
من بعد ما بصرهم ربهم	فاشتروا العز بنهج قويم
بشرى ومرحى لنفوس سمت	وبشرت بالفوز مثل الكليم

* * *

فيـا بنـي الخيـر اعملـوا صـالحـاً   واتبعـوا نهـج القـديـر الحكيـم
وجـانبـوا الشهـرة فـي فعلكـم   وقـولكـم وآتـوا بقلـب سليـم
قـــد خـــاب مـــن أشـــرك فـــي فعلـــه
بـــــالله إن الشـــــرك ظلـــــم عظيـــــم
وتعـرض الأعمـال مجمـوعـة   بيـن يـدي رب غفـور كـريـم
ويعـرف الفـائـز عنـد اللقـا   ويخسـر الصفقـة فيهـا اللئيـم
طـوبـى لمـن أفلـح فـي سعيـه   واختـار نهجـاً مـن إمـام عليـم
وبـــــات يستهـــــدي بـــــآل العبـــــا
مـــن كـــل معصـــوم شفيـــق رحيـــم
يـأمـر بـالعـدل ويقضـي بـه   فهو الوصي المرتضى والزعيم
وصـار مـن ينهـل مـن فيضـه   يـدعـو إلـى الله السميـع العليـم
فـذاك عـدنـان وليـد النهـى   فـي فعلـه ينحـو سلـوكـاً قـويـم
عشـت المفـاهيـم فـأرخـت «قـف   لمسـت مـن عـدنـان فكـراً سليـم»
١٤١٦هـ

الدراز ـ ليلة الأحد
ربيع الأول سنة ١٤١٦هـ
جواد حسن السرور

الإهـداء

- إلى من لولاه لم أكن . .

- إلى من هو أصل النعمة عليّ . .

- إلى والدي العزيز رحمه الله تعالى . .

- أهدي ثواب هذا المجهود المتواضع

مقدمة المؤلف

يلاحظ في آيات القرآن الكريم أنَّ جملة منها جاءت لتعالج سلوكيات تخصّ الفرد، وجملة أخرى جاءت لمعالجة سلوكيات تتعلّق بالمجتمع ككل، وذلك يفهم من خطاب القرآن الكريم.

فتارة يكون الخطاب موجهاً للفرد وأخرى تراه موجهاً للمجتمع، ومن هنا بنيت أساساً لهذا البحث وأسميته: «**من مفاهيم القرآن في السلوك الفردي والاجتماعي**».. وجعلته على قسمين..

قسم أسميته: «من مفاهيم القرآن في السلوك الفردي» والقسم الآخر أسميته: «من مفاهيم القرآن في السلوك الاجتماعي»..

وقد تناولت في كل قسم مجموعة من آيات القرآن المجيد واستخرجت منها مفاهيمَ ـ معتمداً على ما جاء في التفاسير ـ قرنتها بما جاء عن أهل بيت العصمة صلوات الله عليهم أجمعين..

والغرض من هذا البحث المتواضع عدّة أمور منها: ـ

١ ـ بيان بعض مفاهيم القرآن المتعلقة بالسلوك الفردي والاجتماعي ـ المفاهيم النيرة ـ للمؤمن الرسالي..

٢ ـ الدعوة الجادة للتمسّك بالقرآن والرجوع إليه دائماً من أجل استلهام التعاليم الواضحة وتطبيقها في الأسرة المسلمة وعلى مسرح الحياة الاجتماعية.

٣ ـ إلقاء شيء من المسؤولية الملقاة على عاتق المسلم المتصدّي لتعلّم مفاهيم القرآن وتعليمه ونشره..

وكلّي رجاء من الله تعالى أن ينفعني بما قدّمت يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلبٍ سليم.. ومنه تعالى أرجو دوام الموفقية لخدمة العقيدة والمبدأ الحق..

سيد عدنان الدرازي

٢٢ ـ ربيع الثاني ـ ١٤١٥هـ



القسم الأول

من مفاهيم القرآن في السلوك الفردي







تلاوة القرآن تهذيب للنفس

يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣)﴾.

(٧٣ ـ الفرقان)

* * *

من البديهي أنَّك إذا تكلَّمت مع أي فرد عن مهنته، فإنَّك تراه يصغي إليك ويعيرك جمجمته، ولكن إذا كلَّمته وخاطبته في غير مهنته وعمله ووظيفته تجده يولي عنك ولا يعيرك أدنى التفات.. وذلك لأنَّك تكلَّمت في شيءٍ لا يعنيه ولا صلة له به ولا يهمه أمره..

وكذا لو تكلَّمت مع المسلم عن أمور دينه وما يعتقد فإنَّك تراه يقبل عليك ويتأثَّر قلبه بما تقول وما تتكلَّم وما تنطق وعلى الخصوص إذا كان حديثك وخطابك له مشفوعاً ومقروناً بآيات من محكم الذكر الحنيف القرآن الكريم..

إذ من طبيعة المؤمن الواعي أنَّ القرآن يؤثّر في قلبه وينفذ إلى أعماق نفسه.. ومعنى تأثيره في قلبه أنَّ تعاليمه الرفيعة تتجسّد في

أعماله اليومية وسلوكياته على صعيد المجتمع وحياته الفردية والعائلية . .

وهذا بالضبط ما قصدته الآية في قولها: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾﴾ .

وذلك لأنَّهم واعون بما تقصد هذه الآيات المباركة، فتكون ردّة فعلهم حين سماعها تتلى على مسامعهم، الإصغاء والتفكّر فيها والتدبّر في معانيها.

ولنا أن نسأل لماذا تكون ردّة فعلهم حين سماعهم القرآن الخشوع؟!

والجواب: إنَّما تكون ردّة فعلهم الخشوع والانسجام مع آيات القرآن لعدّة أمور:

١ ـ لوعيهم بقيمة القرآن في حياة الإنسانية جمعاء:

وهذا الوعي يكون ويتحصّل لديهم عبر أشياء أهمها شيئين:

أ ـ قراءة الكتب المتعلقة بعلوم القرآن . . كعلم الناسخ والمنسوخ والمتشابه والمُحكم . .

ب ـ وقراءة التفاسير التي تبيّن معاني الآيات وأسباب نزولها فهي تمثّل المجهر المقرّب الذي يعي من خلاله وعبره القارىء للقرآن مقاصد الآيات، وكيف أنَّ بعضها تحمل حلاًّ لمشكلة اجتماعية، وبعضها الآخر تتضمّن قاعدة علمية.

٢ ـ لكثرة تلاوتهم للقرآن الكريم:

فقد قيل قديماً: من تردد على شيء أتى على حكمته، فهم يتلون

القرآن أناء اللَّيل وأطراف النهار، يتلونه بتدبّر وتأمّل في آياته الكريمة يتلونه وكلَّما مرّوا على آية فيها اسم الله خشعت قلوبهم لذكره تعالى، وإذا مرّوا على ذكر الجنَّة تمنّوا أن يكونوا من أهلها، وإذا مرّوا على ذكر النَّار اقشعرّت جلودهم كأنَّهم يتقلقلون بين أطباقها.. هكذا يقرأون القرآن فتتهذّب نفوسهم بتلاوته..

وسلام الله على من قال: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيّب وطعمها طيّب.».

«ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيّب ولكن لا ريح لها..».

* * *

العبادة صياغة للشخصية

يقول الباري جلَّ وعلا:

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾.

(٦٣ ـ ٦٤ ـ الفرقان)

* * *

من فطرة الإنسان أنَّه يحتاج ويفتقر إلى الطعام والماء والهواء، فلو انقطع عنه الهواء أو الماء والطعام يكون مصيره الهلاك والموت المحقق، ولكن حاجة الإنسان وفطرته لا تتوقف عند هذا الحدّ، بل نجد الإنسان كذلك محتاج ومفتقر لأشياء أخرى كالتعبّد والعبادة.. والتديّن..

فعلم الآثار أثبت بأنَّ الآثار الموجودة في أنحاء العالم مثل آثار بابل وآشور وفارس تدلّ على عمق هذه الفطرة الموجودة عند الكائن البشري، وهي فطرة التديّن والتعبّد..

الأمر الذي حدا بعالم الآثار الشهير (هنري برجسون) أن يقول:

«قد وجدت وتوجد جماعات بشرية من غير فنون وعلوم وفلسفات، ولكن لم توجد قطّ جماعة بشرية من غير دين» . .

فإذن الإنسان عنده توجّه ديني، فطرته تقول له تديّن، وبتعبير آخر أنَّ لدى الإنسان فراغ روحي لا بدّ أن يُسدّ ويمتلىء . .

وهذا الفراغ السماء لم تغفله، بل وجّهت الإنسان للطريق المناسب وأرسلت له المرسلين . .

﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ .

(٤٨ ـ الأنعام)

يبشّرون الإنسان بما أعدّه الله له . . وينذرونه من عذاب الله تعالى . . يشرّعون له نظاماً سماوياً يسير عليه ويقتفي أثره . .

هدف الديانات السماوية:

إنَّ الديانات السماوية عندما أتت كانت تحمل في جعبتها بالضرورة أهدافاً وكان أهمها هدفين:

١ ـ تحرير الإنسان من عبادة الجبت والطاغوت:

حررته بصرفه عن عبادة ما لا يستحق العبادة، كالشمس والكواكب والنجوم والأصنام الحجرية والبشرية . . إلى عبادة من يستحق العبادة وهو الله تبارك وتعالى . . لأنَّه أنعم على الإنسان . . ولأنَّه خلقه بعدما كان لا شيء ومن لا شيء . .

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ ﴾ .

(١ ـ الدهر)

والعالم اليوم يضج من ابتعاده عن السماء . . يضج من آلام

المادية. . لأنَّها طغت عليه وأصبح عبداً لها. . الإنسان أصبح مبهوراً من غرور العلم والتكنلوجيا والحضارة الزائفة. . فهو ينشد السلام يريد التخلّص من الحروب النووية. . يريد أن يتخلّص من التلوّث الصناعي الذي أثر على طبقة الأوزون. .

فهو يريد شيئاً ينقذه. . يخرجه من هذا المأزق. . وهذا المنقذ هو الله بنظامه السماوي. .

٢ ـ بناء شخصية الإنسان:

كثير من الناس يتصورون أنَّ الدين مجرّد طقوس عبادة وتعاويذ وتمائم، ولكن الدين في واقع الأمر بعيد كل البعد عن هذا التصوّر الخاطىء بدليل هذه الآية المباركة التي تقول: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ ـ أي الذين يعبدون الله تعالى ولا يشركون في عبادته سواه ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ ـ أي أثرت عبادة الرحمن فيهم حتى أصبحوا يمشون على الأرض مشية هادئة تعبّر عن أصحابها وعن شخصياتهم أنَّهم مصدر أمن ومصدر سلام. . ومصدر عطاء. .

﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾، سجّداً لله تعالى يستلهمون منه المدد الإلهي. . وهم يعيشون الخشوع في أروع صوره، إذ أنَّ السجود يعتبر أقصى حالات الخشوع والخضوع من العبد لربّه. . ويسند هذا ما ورد أنَّ رجلاً أتى للنبي ﷺ وقال أخبرني بعمل إذا عملته أدخل الجنَّة فقال ﷺ: «أعنَّا على ذلك بطول السجود». . إذ فيه التقرّب لله تعالى وفيه التذلّل لله عزَّ وجلّ. .

وهذه الآية أشارت إلى شيء حيث قالت ﴿يَبِيتُونَ﴾. . والمبيت معروف إنَّما يكون في اللّيل. . فكأنَّما الآية تقول: هؤلاء يبيتون لربّهم بصورة العبادة المتمثّلة في السجود والقيام. .

﴿يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾﴾.. يقومون في جنح اللّيل العاكر ويسجدون، صنعتهم العبادة وقولبت شخصياتهم وصقلتها وصبغتها بصبغة الإيمان..

وذلك لأنَّ العبادة تصنع الشخصيات.. وستظلّ العبادة تصنع الشخصيات..!!

* * *

الإنسان بين الفجور والتقوى

قوله تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن
زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ
أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ
عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾.

(٧ ـ ١٥ ـ الشمس)

* * *

عندما يقسم الباري تبارك وتعالى في كتابه المجيد بشيء من مخلوقاته يتبيّن لنا أنَّ هذا الشيء من العظمة بمكان، وإلاَّ لما أقسم الله تعالى به..

فعلى سبيل المثال لا الحصر يقول تعالى: ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾﴾ (٢ ـ البروج).

يعني يوم القيامة.. وهو اليوم الذي يجازى فيه الخلائق ويفصل فيه القضاء فالله تعالى ما أقسم به إلاَّ لأنّه عظيم..

وأيضاً يقول سبحانه: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١﴾ (١ ـ البلد).

يعني أنَّه تعالى يقسم بمكة المكرمة البلد الحرام لامتيازها عن سائر البلدان بمزايا والتي منها وجود البيت العتيق فيها، وكون النبي ﷺ وهو أشرف الخلق منها.. فهي بلد عظيم فلذا ولغيره يقسم الباري عزَّ وجلّ بها..

ومن هنا فقسمه تعالى بالنفس في الآية الكريمة، إنَّما كان لعظمتها وجليل صنعها.. وتتبين عظمة هذه النفس وشرفها في هذه الآيات المباركة..

يقول الباري تبارك وتعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾.. النفس هنا في الآية المقصود منها نفس الإنسان لا الحيوان بدليل قوله تعالى في الآية اللاحقة: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ إذ من الواضح ومن الضروري أنَّ الفجور والتقوى ليسا من صفات الحيوان، فالحيوان غير مكلف، فيتحصل أنَّ المقصود من النفس هنا نفس الإنسان لا غير..

ولنا أن نسأل: ـ ما معنى ألهمها فجورها وتقواها؟!!

الجواب:

يقول إمامنا أبو جعفر الباقر عليه السلام: في قوله تعالى.. ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ يعني: «بيَّن لها ما تأتي وما تترك»..

ومن جوابه عليه السلام نعي أنَّ معنى ألهمها فجورها، أي خلق سبحانه في نفس الإنسان الاستعداد للفجور والتقوى، فكما أنَّه يستطيع الإصلاح في الأرض ويكون عنصر بناء، أيضاً بإمكانه أن يصبح مخرِّباً..

والغرض من خلقه سبحانه وتعالى هذا الاستعداد في نفس الإنسان

كي يكون إنساناً حرّاً غير مجبر على فعل القبيح أو الحسن، إضافة لهذا لو لم يجعل عنده هذه القابلية لكان كريشة في مهبّ الريح لا يستحق من الله المدح والذمّ ولا الثواب ولا العقاب لأنَّه أصبح والحال هذه مجبوراً غير مختار..

لكن الباري جلَّ وعلا خلق فيه قابلية الفجور والتقوى.. ولذا قال سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ يعني أنَّه تعالى يمتدح الإنسان الذي اختار التقوى على الفجور وفي نفس الوقت يذمّ من يختار الفجور على التقوى، بل أعدّ له عذاباً أليماً.. لأنَّه تعالى ألقى عليه الحجّة من إرسال رسل ومنذرين ومعاجز وبراهين وعقل.. فبالتالي استحقّ منه إنزال العقاب.. لكفره وإنكاره.. ولذا جاءت الآيات الأخيرة من سورة الشمس ـ والتي هي موضع البحث ـ تشير إلى قصة قوم صالح عليه السلام وعذابهم.. وذلك لأنَّهم اختاروا الفجور على التقوى بعد أن ظهرت لهم البيّنات والبراهين التي لا تقبل شكّ والدلائل القاطعة..

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾.

(١٥ ـ الإسراء)

* * *

الإيمان بالآخرة والمعاد

قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

(٧ ـ ٨ ـ يونس)

* * *

الله عزَّ وجل عند خلقه للإنسان جعل فيه قابلية الخلافة في الأرض وهذا ما نعيه من قول القرآن المجيد..

﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ ﴾.

(٣٠ ـ البقرة)

وقابلية الخلافة في الإنسان تعني أنَّ لديه مؤهلات تمكّنه من التأقلم على كوكب الأرض.. وكانت أهم هذه المؤهلات ثلاث مؤهلات..

١ ـ العقل: والذي يمثّل بالنسبة للإنسان الميزة التي تميّزه عن

سائر المخلوقات.. وكذا الحجة الباطنية الملقاة عليه من قبل الله تعالى..

٢ ـ الإرادة: وهي تمثّل للإنسان الموجّه والشرطي لسلوكه..

٣ ـ الوحي: وهو المقنن للإنسان والهادي له إلى سواء السبيل.. ولا تقف وظائفه عند هذا الحدّ بل له وظائف متعددة ومن جملتها:

أ ـ علّمه كيف ينظر إلى الحياة الدنيا بمنظار صاف وينظر إلى الحياة الآخرة.. فعلّم الإنسان أنَّ الدنيا ليست دار قرار، وعلّمه أنَّ الآخرة دار خلود ونعيم مقيم..

ب ـ وألزم الإنسان بالإيمان بقضية المعاد الأخروي حيث الجزاء.. ولعلَّ الآيتين اللتين طرحناهما في مقدمة البحث من أبرز الآيات التي تلزم الإنسان بالإيمان بقضية المعاد الأخروي والجزاء..

إذ يقول القرآن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا...﴾ الآية.

فهي تذكر صفة اللذين تعلّقت قلوبهم بالدنيا أنَّهم لا يرجون لقاء الله تعالى فهم لا يؤمنون أنَّ هناك حياة بعد الموت تتيح لهم فرصة اللقاء بمن خلقهم وبمن أوجدهم سبحانه وتعالى..

وإضافة لهذا أنَّهم في غاية الرضا بحياتهم في هذه الدنيا وفي غاية السرور بما هم فيه، وأنَّ قلوبهم غمرتها الطمأنينة، لأنَّهم لا يؤمنون بشيء اسمه معاد وبشيء اسمه جزاء، فلماذا لا يطمأنون فلا شيء يعكّر صفوهم ولا شيء يترقبهم.. حتى أنَّهم وصلوا إلى حالة الغفلة عن الآيات وعن البراهين التي ترغمهم أن يؤمنوا بما هم عنه غافلون.

وقد ذكر القرآن كثيراً من النماذج التي تتصف بهذه الصفات

المذكورة في الآية الكريمة، كفرعون موسى عليه السلام وهو رمسيس الثاني الذي بلغ من طغيانه وغروره بهذه الحياة الدنيا، أن ادّعى الألوهية فصيَّر الناس عبيداً له..

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾.

(٤ ـ القصص)

ونموذج آخر ذكره القرآن وهو قارون الذي كان في بادىء أمره مؤمناً بدعوة موسى عليه السلام ولكن بمجرّد أن أصبح ثرياً وبمجرّد أن ملك القناطير المقنطرة من الذهب، كفر بالله وبالمعاد وبالجزاء واطمأنّ ورضي بالحياة الدنيا وزخارفها وزبارجها..

وهذا ما نعيه من قول القرآن في سورة القصص:

﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾.

(٧٦ ـ ٧٧ ـ القصص)

والملاحظ من ذكر القرآن لهذين النموذجين أنّه وصفهما بصفة واحدة وهي الإفساد..

فوصف فرعون بقوله: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾.. ووصف قارون بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾.. ولعلَّ القرآن يريد أن

يقول: إنَّ عدم الإيمان بالآخرة والجزاء يوصل الإنسان إلى الفساد في الأرض.. وذلك لأنَّ من لا يؤمن بالآخرة والجزاء لا يتقيّد بأمر الله وبتعاليمه تعالى فعندها يفسد في الأرض كما أفسد فرعون وقارون..

ومن هنا ليس من الغريب على القرآن أن يأتي بالوعيد بالنار بعد أن ذكر وأشار إلى الكافرين بالحياة الآخرة، المطمئنين بالحياة الدنيا والراضين بها..

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

(٨ ـ يونس)

* * *

الرضا بقضاء الله في حياة المؤمن

يقول تعالى:

﴿... رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾.

(١٠٠ ـ التوبة)

* * *

من صفات الباري تبارك وتعالى التي ذكرها القرآن علمه سبحانه بالغيب وعلمه بالشهادة وذلك قوله:

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾.

(٩ ـ الرعد)

ومعنى علمه بالغيب كونه يعرف ويعلم بما خفي وبطن عن إدراك الإنسان وحواسه.. كأجل الإنسان ورزقه.. وما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد..

ومعنى علمه بالشهادة يعني معرفته تبارك وتعالى بما يصدر من الإنسان وما يشهده وبملابسات العالم المشاهد..

وعلى هذا فإنَّه تعالى لا يجري شيئاً أو يقدره على الإنسان إلاَّ وهو يعلم بمقدار صلاحه للإنسان..

ومن هنا فلا بدّ للإنسان إلاَّ أن يرضى ويسلِّم بقضاء الله تعالى مهما كان نوعه سواء كان حزن أو فرح، فقر أو غنى، مرض أو صحة.. فقد امتدح الباري تبارك وتعالى الراضين بقضائه وأعدَّ لهم جنَّات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً، وذلك قوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾..

ولكن قد نسأل: لماذا يمتدح الباري الراضين بقضائه وقدره..؟!!

الجواب:

إنَّما امتدحهم سبحانه وأعدَّ لهم كل هذا الجزاء في الآخرة لأمور:

الأول: لأنَّ علاقتهم به قوية وقائمة على أساس من الوعي والإدراك؛ فالمؤمن بوجود الله تعالى لا بدّ أن يؤمن بأنَّه تعالى متّصف بالرحمة والحلم والعدل.. وإذا آمن بكل هذا فلا يتبادر إلى ذهنه أنَّ الله تعالى يجري هذا القضاء عليه عبثاً، وبالتالي يسلِّم أمره لله تعالى، ولا يعترض عليه وينشز، بل يصبر ويعتبر هذا القضاء مجرّد امتحان له يجب أن يجتازه بنجاح..

الثاني: لأنَّهم مؤمنون، والمؤمن يستحقّ الجنة.. بدليل قول إمامنا الصادق عليه السلام عندما سُئل بأي شيءٍ يعلم المؤمن أنَّه مؤمن؟!!

فقال عليه السلام: «بالتسليم لله والرضا فيما ورد عليه من سرور أو سخط».

الثالث: لترقبهم ثمرات الرضا التي وعد بها الله عزَّ وجل في كتابه العزيز بقوله:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾.

(١٥٥ ـ ١٥٧ ـ البقرة)

ووعد بها النبي الأكرم ﷺ بقوله:

«أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب الله تعالى يوم فقركم والإفلاس».

* * *

الصبر قرينُ التقوى!!

قال تعالى:

﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٩٠﴾.

(٩٠ ـ يوسف)

* * *

من طبيعة الإنسان أنَّه عندما يبذل أي مجهود وأي خدمة للآخرين، يريد المقابل قبالها ويختلف هذا المقابل باختلاف نوعية ما قدّم وبذل من جهد فتارة يقنع بمجرّد المديح والإطراء على ما قدّم، وأخرى لا يقنع بمجرّد المديح بل يريد مقابل ما قدّم شيئاً مادياً لا معنوياً..

وهذه الصفة والطبيعة في الإنسان لم تغفلها السماء.. وإنَّما استغلتها أتمّ الاستغلال وجيرتها لجذب الإنسان لطاعة الله تعالى.. ففي هذه الآية يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٩٠﴾،..

يعني تقول الآية للإنسان: إعلم أنَّ التقوى والصبر صفتان فيهما

مشقة وتعب ونصب وبذل جهد جهيد، ولكن تأكّد إن اتّسمت بهما فإنَّ الله لن يضيع أجرك، بل أجرك محفوظ عنده تبارك وتعالى..

سؤالان:

ما معنى التقوى في الآية؟!! وعلى ماذا نصبر؟!!

الجواب:

أ ـ التقوى معناها الخشية والخوف من الله تعالى وامتثال أوامره واجتناب نواهيه.. فبذلك يكون معنى الآية ومن يتّق الله يعني الذي يخاف الله ويخشاه ويمتثل أوامره من صلاة وصيام وحج وغيره.. ويجتنب نواهيه من ترك ما حرّم الله كالزنا وشرب الخمر وأكل مال الرّبا...

وهي ذاتها ـ أي التقوى ـ التي يعتبرها القرآن المقياس لتكريم الإنسان وهو ما نعيه من قوله:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾.

(١٣ ـ الحجرات)

وكذا النبي ﷺ اعتبر التقوى مقياساً للمفاضلة والتفضيل بين الناس وهو ما ندركه من قوله ﷺ:

«لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي إلاَّ بالتقوى».

وفي واقع الأمر فإنَّ التقوى من الأمور الصعبة ـ على الإنكزپسان ـ وقليل من الناس من يتّصف بها.. وكثيرٌ منهم من يدّعيها ولكن الادّعاء شيء

والواقع شيء آخر، وقديماً قيل من ادّعى ما ليس فيه كذبته شواهد الامتحان..

وعلى غرار ما قيل قديماً يقول أميرُ المؤمنين عليه السلام: «عند حضور الشهوات يتبين ورع الأتقياء».

يعني الذي يبيّن التقي من غيره هو عروض الشهوات والملذات على الإنسان فإنْ انجرف ورائها تبيّن كذب تقواه ودعواه..

يقال: انَّ شاباً في إحدى ليالي الشتاء الممطرة، طرقت بابه فتاة في مقتبل العمر، ومنتهى الجمال، تريده أن يأويها.. وبعد تردد.. آواها ولكنّه لم ينم تلك اللّيلة وبات في صراع مع نفسه.. حتى عمد إلى شمعة عنده فأحرق أصابعه واحدة تلو الأخرى.. حتى أتى الصباح..

ب ـ على ماذا نصبر؟!

الصبر في كلام المعصوم عليه السلام يكون على عدّة أمور.. فعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال: الصبر ثلاثة:

١ ـ صبر على المصيبة: وهي الأمر المحزن كفقد الولد.. والمال.. وكل ما هو عزيز..

وقد قال صلى الله عليه وآله في جزاء الصابر على المصيبة: «..فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن العزاء كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء إلى الأرض»..

٢ ـ وصبر على الطاعة: فإنَّ طاعة الله تعالى وامتثال أوامره يحتاج في حدّ ذاته إلى تصبّر وتحمّل للمشاق..

﴿الٓمٓ ① أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ②﴾.

(١ ـ ٢ ـ العنكبوت)

وفي معرض ذكر جزاء الصبر على الطاعة يقول ﷺ: «و.. من صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش».

٣ ـ **وصبر على المعصية:** فنفس الإنسان تنازعه إلى ارتكاب ما حرّمه الله تعالى.. كالزنا.. واللواط.. وشرب الخمر.. والسرقة.. ولذا فالإنسان يحتاج في هذه الحالة إلى الصبر والتحمّل..

وفي صدد الكلام عن جزاء الصبر على المعصية يقول النبي الأكرم ﷺ: «و.. من صبر على المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش».

* * *

لماذا المرض ومن أين؟!!

قال تعالى:

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾.

(٨٠ ـ الشعراء)

* * *

في هذه الأرض التي نعيش عليها، أوجد الله تعالى كثيراً من القوانين التي تحافظ على بقائها واستمراريتها.. كقانون الجاذبية الذي مؤدّاه انجذاب الأجسام إلى مركز الأرض ونحوه ـ والذي لا يستطيع الإنسان مهما أُوتي من قوّة ومن علم أن يتحدّاه ويقهره ـ. وقانون السببية؛ الذي يقوم عليه الكون من ألفه إلى يائه..

لكن قد يخطىء الإنسان في نسبته أسباب وجلب بعض الأمور إلى الله عزَّ وجلّ.. كالمرض!!

فالمرض في اعتقاد الكثير أنَّ الله سبحانه يجلبه للإنسان.. لكن الحقيقة خلاف ذلك تماماً، فقد أوضح القرآن الكريم وبضرس قاطع أن الجالب للمرض ليس الله عزَّ اسمه وجلّ وهذا ما نعيه من قوله سبحانه:

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾.

فإنَّه لم ينسب الأمراض إلى الله تعالى بل نسب الشفاء والإشفاء فحسب إليه تعالى.. وذلك لأنَّ المرض يأتي بسبب تفريط الإنسان في طعامه وشرابه.. ويؤيّد هذا قوله تعالى:

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾.

(٣٠ ـ الشورى)

ومن ثم قالت الحكماء: «لو قيل لأكثر الموتى ما سبب آجالكم؟! لقالوا التخم» وبكلمة فإنَّ جالب المرض إلى الإنسان ليس الله تعالى، وإنَّما هو ذاته الإنسان وهذا ما نعيه من الآية الكريمة..

ولنا أن نسأل.. إذا كان المرض يجلبه الإنسان لنفسه.. فلماذا نجد الأنبياء والأوصياء والمؤمنين الصالحين يمرضون، والحال أنَّهم يتصرفون بحكمة وهم بعيدون عن حياة العبث..؟!

الجواب:

إنَّما يعتلّ ويمرض الأنبياء والأوصياء والمؤمنون لعلَّة زيادة الأجر والثواب الإلهي..

وإلى هذا أشار النبي الأكرم ﷺ بقوله في العلل:

«ما زلت أنا ومن كان قبلي من النبيين والمؤمنين مبتلين بمن يؤذينا ولو كان المؤمن على رأس جبل لقيّض الله عزَّ وجلّ من يؤذيه ليؤجر على ذلك».

وبقوله ﷺ:

«المريض تحات خطاياه كما يتحات ورق الشجر».

وليس المريض المؤمن فقط يؤجر إذا مرض وابتلي، بل إنَّه تعالى

يثيب حتى من يزور المريض، وذلك لأنَّه يخفف من وطئة المرض عن أخيه المسلم، ولأنَّه قد اقتدى وتأسى بالنبي ﷺ لأنَّه كان من خلقه الرفيع عيادة المريض.. حتّى أنّه عاد ذلك اليهودي في مرضه وقصته مشهورة..

من آداب زيارة المريض:

ما فتىء الإسلام وما انفكَّ عن تهذيب سلوكيات الفرد الرسالي حتى أرشده إلى كيفية زيارة المريض وعيادته وما ينبغي من آداب يتقيّد بها عائد المريض في عيادته، فمن هذه الآداب...:

١ ـ يقول ﷺ: «خير العيادة أخفّها» ويعني بذلك ﷺ أنَّ على عائد المريض أن لا يطيل العيادة عنده، لما يعيشه من آلام تقتضي الركون إلى الراحة والنوم فإذا أطال العائد المكوث قد يتضايق المريض ولا تحصل له الراحة.. وكما ورد إيَّاكم وعيادة النوكى..».

٢ ـ وعن مولى لجعفر بن محمّد عليه السلام قال: مرض بعض مواليه فخرجنا إليه نعوده ونحن عدّة من موالي جعفر عليه السلام فاستقبلنا جعفر في بعض الطريق فقال لنا: «أين تريدون؟!!».

فقلنا: نريد فلاناً نعوده، فقال لنا: «قفوا»، فوقفنا، فقال: «مع أحدكم تفاحة، أو سفرجلة، أو أترجة، أو لعقة طيب، أو قطعة من عود بخور؟!!».

فقلنا: ما معنا شيء من هذا..

فقال عليه السلام: «أما تعلمون أنَّ المريض يستريح إلى كل ما أدخل به عليه؟!!».

من ثواب وجزاء زيارة المريض:

١ ـ يقول النبي الأكرم ﷺ: «عائد المريض يخوض في الرحمة فإذا جلس ارتمس فيها».

٢ ـ وفي ما ناجى به موسى ربّه: «قال يا ربِّ ما بلغ من عيادة المريض من الأجر؟! قال عزَّ وجلّ: أوكل به ملكاً يعوده في قبره إلى محشره».

* * *

بماذا نتكلم؟!

قال تعالى:

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾.

(١٠ ـ فاطر)

* * *

نقرأ في القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾.

(١٨ ـ ق)

ونعي أنَّ القرآن يريد من قوله هذا، أنَّ الإنسان مسؤول ومحاسب حتى عن الألفاظ التي يتلفّظ بها ويتعامل بها مع الناس.. وذلك لأنَّ الكلام له وقع كبير على النفس سواء كان جميلاً أو قبيحاً.. فرب قول أنفذ من صول على حدّ تعبير أمير المؤمنين عليه السلام وكما تقول العرب: بعض الكلام أقطع من الحسام..

ولكي يستقيم المسلم في كلامه وما يتلفّظ به جاءت آيات كثيرة في كتاب الله العزيز ترشده إلى الكلام الهادف المعطاء.. والتي من جملتها قوله تعالى:

﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾.

(٨٣ - البقرة)

أي عندما تتكلمون مع بعضكم البعض، التزموا بالكلام والقول الجميل الحسن والخلق الكريم، وهو ما ارتضاه الله وأحبّه..

وقوله تعالى:

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾.

(٥٣ - الإسراء)

يعني نأمرك يا محمّد ﷺ أن تأمر المسلمين بل الإنسانية جمعاء أن ينطقوا بالحسنى ويقولوا كلمة العدل والحق.. ليتجنبوا بذلك العدوّ اللدود وهو الشيطان الرجيم، لأنّه ينتهز عثرات اللسان ليتخذ منها وقوداً لنار الفتنة والعداوة والبغضاء بين الناس، فكما نعلم أنّ الحروب التي دارت رحاها ولازالت كان أصلها ومبعثها كلمات.. وعثرات لسان..

وقوله تعالى في هذه الآية: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ ففي هذه الآية يشير القرآن من قرب إلى قيمة الكلام والقول الطيب..

وفي قوله: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ.. ﴾ رأيان:

الأول: أنّ معنى الصعود هنا قبول الكلام الطيّب من صاحبه؛ والإثابة عليه، وكلما يتقبّله الله تعالى من الطاعات يوصف بالرفع والصعود، وذلك لأنّ الملائكة يكتبون أعمال بني آدم ويرفعونها إلى حيث شاء الله تعالى.. ففي دعاء كميل يقول عليه السلام: «وكل سيِّئة أمرت بإثباتها الكرام الكاتبين الذين وكلتهم بحفظ ما يكون منّي وجعلتهم شهوداً عليَّ مع جوارحي...».

الثاني: معنى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ..﴾ يعني إلى سمائه وإلى حيث لا يملك الحكم سواه فجعل صعوده إلى سمائه صعوداً إليه تعالى كما يقال: ارتفع أمرهم إلى السلطان..

ثم قال سبحانه وتعالى بعد أن قال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ..﴾ قال: ﴿ٱلطَّيِّبُ﴾ ويعني به الكلمات الحسنة من التعظيم والتقديس له تعالى وأحسن الكلام: «لا إله إلاّ الله».

وكأنَّما هنا الآية المباركة عندما تقيّد الكلام الصاعد إلى الله تعالى بالطيب كأنَّها تعالج قضية من قضايا المجتمع الإسلامي.. تتعلَّق هذه القضية باللِّسان وما ينبغي أن يتفوّه وينطق به الإنسان.

وهذه القضية أحاطها أهل البيت عليهم السلام بعناية كاملة، ويتضح ما نقول من كلماتهم عليهم السلام والتي منها على سبيل المثال لا الحصر:

أ ـ يقول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «إنَّ من حسن إسلام المرء قلَّة الكلام».

أي من طبيعة الذي ينتمي إلى الإسلام عدم الإكثار من الكلام في ما لا يعنيه والاكتفاء بالكلام في ما يعنيه ويخصّه ولذلك يكون كلامه قليلاً.. وهذا ظاهر في حياتنا اليومية، فلو نظرنا إلى معظم ما نتلفّظ به، فإنَّا سنراه إمَّا يتّصف بالفضول، أو الهدر الذي لا فائدة من وراءه ترتجى ولا طائل..

ب ـ يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «الكلام في وثاقك ما لم تتكلَّم به فإذا تكلَّمت به صرت في وثاقه.. فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك فربّ كلمة سلبت نعمة».

يعني بعد أن يتكلَّم الإنسان وينطق بأي لفظ يكون مسؤولاً عمَّا

قال ونطق فيجب والحال هذه أن ينسجم مع قوله وإلاّ ناقض نفسه. .

ومن هنا ينصح أمير المؤمنين عليه السلام المؤمن الرسالي بوزن الكلمات والأقوال قبل خروجها من فيه، ويحذّره من التهوّر في إلقاء الكلمات فقوله: «ربّ كلمة سلبت نعمة. .» يعني بها كلمة الجهل والحمق والغضب والعجلة يطلقها المتسرّع بلا تقدير وروية فيندم عليها. .

وقيل: إنَّ نبي الله نوح عليه السلام تكلَّم بكلمة فتندّم من ذلك وناح عليها أربعين صباحاً، وذلك أنَّه مرَّ بكلب كريه المنظر فقال عليه السلام: ما أقبح هذا الكلب!! فتكلَّم الكلب وقال بلسانٍ طلق: إن كنت لا ترضى بخلق الله فحوّلني يا نبي الله فتحيّر نوح عليه السلام وأقبل يلوم نفسه وناح لذلك أربعين صباحاً حتى تاب الله عليه.

ج ـ ورد عن إمامنا أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قوله: «لا يزال العبد المؤمن يكتب محسناً مادام ساكتاً فإذا تكلَّم كتب محسناً أو مسيئاً. .».

ومعناه يقول الإمام عليه السلام لنا. . مادمتم ساكتين فلا إثم عليكم ولا غضاضة. . ولكن إذا أردتم الكلام فأنتم بالخيار، إمَّا تتكلمون بخير وصلاح فتكتبوا محسنين عند الله تعالى وإلاّ فمسيئين، ورحم الله أمير المؤمنين إذ يقول:

وإذا ما هممت بالقول في البا ... طل فاجعل مكانه تسبيحا

* * *

الكذب بين الحليّة والتحريم

قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾.

(١٠٥ ـ النحل)

* * *

المعتقد الإسلامي على الدوام يهدف إلى بناء المجتمع وجعله مجتمعاً آمناً هادئاً ولعلَّ من الأسس التي وضعها الإسلام لبناء هذا المجتمع هو أساس الصدق في الحديث والكلام والمعاملة..

وفي المقابل نجد الإسلام يضيق الخناق على نقيض الصدق وهو الكذب وهذا ما نلمسه في آيات القرآن الكريم وكلمات المعصوم عليه أفضل الصلاة والسلام..

وقد نسأل ما معنى الكذب؟! وما رأي الإسلام فيه؟!

والجواب:

أولاً: الكذب: «هو الاخبار عن الأشياء على خلاف ما هي عليه»

نحو أن ينقل فرد من الناس لجماعة خبراً ما فيتبين بعد فترة من الزمن أنَّ الواقع خلاف ما أخبر به هذا الفرد. . وبالجملة فالكذب هو نابع من صنع مخيلة الكاذب ولا وجود له في الخارج.

ثانياً: أمَّا رأي الإسلام في الكذب فإنَّه يعتبره صفة من صفات الذين يعارضون الإسلام ولا يقيمون له وزناً وهذا ما نعيه من قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ. .﴾ الآية، ومن زاوية الحكم والتشريع الإسلامي نجد الإسلام يحرّم التعامل بالكذب على المسلم بل ويتوعّد من يكذب بالعذاب الأليم وهذا ما نعيه من قوله عزّ وجلّ:

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾.

(١٠ ـ البقرة)

ولا يقف الإسلام عند هذا الحدّ بل يبيّن للمسلم أثر هذا المرض الوخيم عليه كفرد، من أنَّه يمثّل واقياً وحجاباً بين قلبه ونور هداية الله عزَّ وجلّ وذلك واضح من قول القرآن:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾.

(٣ ـ الزمر)

وفي كلام أهل البيت عليهم السلام نجد حملة واسعة النطاق إزاء الكذب تصفه تارة أنَّه أعظم الخطايا، وأخرى أنَّه من سنخ الفجور، وأنَّه شرّ الأقوال، وأنَّه خيانة. . وفي الأخير العاقل لا يكذب وإن كان فيه هواه. .

فعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنَّه قال:

«أعظم الخطايا اللسان الكذوب».

وقال:

«إيَّاكم والكذب فإنَّه مع الفجور وهما في النار..».

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال:

«شرّ القول الكذب».

وقال:

«الكذب خيانة».

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنَّه قال:

«إنَّ العاقل لا يكذب وإن كان فيه هواه».

ولكن مع هذا نجد الإسلام الدين السمح يجيز الكذب للفرد في موارد معدودة منها:

الأول: النجاة من الظالم..

الثاني: الإصلاح بين الاخوان، وإصلاح ذات البين وهو ما نستفيده من قول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

«ليس بكذّاب من أصلح بين اثنين فقال خيراً أو أنمىٰ خيراً».. وما روي عن أبي كاهل قال: وقع بين اثنين من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله كلام حتى تصارما -يعني كل واحد سل صارمه من غمده- فلقيت أحدهما فقلت: مالك ولفلان، فقد سمعته يحسن عليك الثناء..

ثم لقيت الآخر فقلت له: مثل ذلك حتى اصطلحا.. ثم قلت أهلكت نفسي، وأصلحت بين هذين فأخبرت النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا أبا كاهل أصلح بين الناس ولو (...) أي بالكذب»..

الثالث: الإصلاح بين الضرّات من النساء فللزوج أن يظهر لكلّ واحدة منهن أنَّه يحبها أزيد من الأخرى ليطيب بذلك خاطرها، وتهدأ أجواء الأسرة من الإزعاج غير المرغوب فيه..

* * *

الحسد
حقيقته وبواعثه وعلاجه

قال تعالى:

﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾.

(٥٤ ـ النساء)

* * *

بدأت الإنسانية مسيرتها على كوكب الأرض منذ أن نزل خليفة الله في أرضه أبو البشر وأول الأنبياء آدم عليه السلام وزوجه حواء عليها السلام وذلك كان بأمر الله تعالى وهو قوله في محكم كتابه المجيد:

﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ . . . ﴾.

(١٢٣ ـ طه)

ويلاحظ في هذه الآية قوله تعالى: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ . . ﴾ . . أي في الأرض وقد نتساءل: ما هي العداوة التي أشار إليها القرآن في هذه الآية؟!!

والجواب:

لقد كان آدم وحواء عليهما السلام يعيشان في الجنَّة وكانت أجواء الجنَّة تختلف عن أجواء الأرض وذلك من عدّة جوانب..

الجانب الاقتصادي.. والجانب الجغرافي.. والجانب الأمني...

فأمَّا الجانب الاقتصادي فقد أشار القرآن إليه بقوله:

﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾.

(٣٥ ـ البقرة)

وقوله تعالى مخاطباً آدم عليه السلام:

﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ ﴾.

(١١٨ ـ طه)

وأشار القرآن إلى الجانب الجغرافي في الجنة بقوله:

﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾.

(١١٩ ـ طه)

وأمَّا جانب الأمن من الأعداء فقد حذّر الجليل جلّ وعلا آدم من العدوّ الوحيد له في الجنَّة ولزوجه بقوله تعالى:

﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا ـ إشارة لإبليس ـ عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾.

(١١٧ ـ طه)

ولكي يحسس الباري جلَّ وعلا آدم وزوجه بالفرق بين كوكب

الأرض والجنَّة بيَّن لهما أنَّ الأرض ظروفها الاقتصادية والجغرافية والأمنية تختلف والجنَّة، ولذا صرّح القرآن في الآية المتقدمة الذّكر بقوله: ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ . . ﴾.

وهذا إشارة إلى الجانب الأمني في الأرض بالنسبة للإنسان حيث كان له في الجنَّة عدوّ واحد وهو إبليس أمَّا في الأرض فالأعداء للإنسان؛ لا حصر لهم، حتى أنَّ الإنسان عدوّ لأخيه الإنسان. . ولا يخفى أنَّ قابيل قتل هابيلاً، وقتله لهابيل كان نتيجة مرض موجود عند الإنسان منذ فجر التاريخ ألا وهو الحسد. .

وهو ما أشار إليه القرآن بقوله: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ . . ﴾ الآية، ولكن. .

ما هي حقيقة الحسد؟ وبواعثه؟ وعلاجه؟

الجواب:

١ ـ حقيقة الحسد:

«هو أن يتمنّى الحاسد زوال نعمة المحسود وذهابها عنه».

وهذا التعريف يتفق وقول الشيخ المجلسي (قدّس سرّه) في تعريف الحسد إذ يقول: «الحسد أن يرى الرجل لأخيه نعمة فيتمنّى زوالها عنه وتكون له دونه».

٢ ـ بواعثه:

إنَّ للحسد عدّة بواعث نجدها مذكورة في كتب الأخلاق والتربية منها:

أ ـ أن ينشأ من خبث النفس وابتلائها بالشحّ حتى تصل إلى قرار

سحيق فيزعجها أن تشاهد نِعم الله تعالى وألطافه مبسوطة على عباده؛ كما أنَّها تطير فرحاً وسروراً حينما تشاهد منكوباً أو مبتلى وهو من أقبح أنواع الحسد وأفحشها حيث يقول الرسول الأكرم ﷺ: «إنَّ لنِعم الله أعداء» فقيل: ومن هم؟! قال: «الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله».

ب ـ أن ينشأ من حبّ المرء الحسود للتفوّق على الغير فيسوؤه أن يتفوّق غيره عليه، ويحسب أنَّه ينعم إذا تفوّق على غيره، وهذا مذموم بقوله تعالى:

﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾.

(٥٤ ـ النساء)

ج ـ أن ينشأ من احتقار الحاسد للمحسود، فإذا ظفر المحسود بنعمة وافرة يتمنى زوالها، ومن هذا القبيل حسد الكفّار للأنبياء على ما وهبهم الله من النبوّة والكرامة، فقد قالوا لهم على ما حكاه القرآن:

﴿ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.

(١٥ ـ يسٓ)

هذا ويدفعهم الحسد إلى إلصاق الطعون والتُّهم الكاذبة بهم؛ ويكون ذلك سبباً لإذاعة فضلهم وعلوّ مكانتهم، كما قال الشاعر الفذّ أبو تمام:

وإذا أراد الله نشــــر فضيلـــــة ... طـويـت أتـاح لهـا لسـان حسـود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ... ما كان يعرف طيب عرف العود
لولا التخوّف للعواقب لم يزل ... للحاسد النعمى على المحسود

٣ ـ أثر الحسد على الفرد والمجتمع:

أ ـ على الفرد:

ويؤثر عليه من نواحٍ ثلاث:

الأولى: الحالة النفسية والجسدية: فقد بيَّن أمير المؤمنين عليه السلام ذلك بقوله:

«صحة الجسد من قلّة الحسد».. وقوله: «الحسد يذيب الجسد».

الثانية: انحطاط درجة الحاسد وانصراف الناس عنه.. حيث أنَّه ستتواجد فيه سلوكيات يمجّها المجتمع ولا يقبلها، وقد أشار إليها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله من قريب بقوله:

«أمَّا علامة الحاسد فأربعة: الغيبة، والتملّق، والشماتة بالمصيبة».

الثالثة: سوء العلاقة الإيمانية بالله تعالى.. وهذا ما عبّر عنه إمامنا أبو جعفر الباقر بقوله:

«إنَّ الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب».

ب ـ على المجتمع:

أمَّا أثر الحسد على المجتمع، فلو تصوّرنا أنَّ مائة من الناس تتوافر فيهم مواصفات الحاسد، فلا بدّ والحال هذه أن نتصوّر مائة آخرين هم من المحسودين، وترى المائة الأولى قد شغلت معظم وقتها بالحسد وطاقتها، وبذلك يخسر المجتمع مائة طاقة عاملة في حقل

الإنتاج؛ نتيجة اشتغالهم بالحسد، ولو لم يكن من خسارة اجتماعية إلاَّ هذه لكفى..

٤ ـ كيف نعالج هذا الداء الاجتماعي؟!

الحسد كمرض يصيب الإنسان في جهازه السلوكي، وصف له أطباء الروح دواءً وإكسيراً وبلسماً ناجعاً من القرآن والسنّة النبويّة أقدمه بين يديك عبر نقطتين كيما تتوقّى مرض الحسد، وتعالج بهذا الدواء الناجع مرضى الحسد..

النقطة الأولى: أن يأخذ المبتلى بمرض الحسد بآداب الإسلام، ويراقب الله في كل ما يفعله، فإنَّ في ذلك زجراً للنفس وتمريناً لها على ترك هذه النزعة الشريرة..

النقطة الثانية: التدبّر أو التأمّل في الآيات الدالّة والذامّة للحسد وكذا الأحاديث والروايات التي تذكر الجزاء الأخروي للحاسد..

* * *

الاستعاذة من إبليس لماذا؟!!

قال تعالى:

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾.

(٩٨ ـ النحل)

* * *

ينصح الأطباء الإنسان عندما يريد تناول طعامه وغذاءه، أن يحرص على أمور تعود له بالمنفعة الصحيّة..

مثل أن يكون الطعام نظيفاً.. مغطّى..

ومثل أن تكون يداه مغسولتين.. من الأقذار والأوساخ ليأمن الأمراض..

وعلى غرار هذا ينصح القرآن قارئه حين ووقت وساعة قراءته أن يكون نظيفاً طاهراً من رجس الشيطان، ويتحصّل ذلك بعملية الاستعاذة التي أشارت إليها من قريب الآية المباركة:

﴿.. فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾.

وذكرها القرآن وأشار إليها في مواضع أخر كقوله:

أ ـ ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾.

(٩٧ ـ ٩٨ ـ المؤمنون)

ب ـ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ . . . مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ ﴾.

(١ ـ ٤ ـ ٥ ـ الناس)

ولكن. .

١ ـ ما معنى الاستعاذة؟!

٢ ـ ولماذا نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم؟!

والجواب:

١ ـ الاستعاذة معناها اللجوء إلى الله تعالى من شرّ الشيطان. .

٢ ـ نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم. . لأنَّ قراءة القرآن عبادة لله تعالى وينبغي علينا عندما نبدأ كل عبادة أن نستعيذ من شرّ الشيطان الرجيم. . لأنَّ الشيطان؛ ينتهز الفرص للوسوسة للإنسان في أي وقت. . فلا بدّ لصرفه أن نلجأ لله تعالى منه. .

الشيطان يدعو الإنسان لعبادته:

كان شخص مريض، وفي حال الاحتضار، في إحدى قرى أصفهان؛ فطلبوا من العالم الزاهد في تلك القرية الحضور عند سريره وتلقينه فعندما كان يشهد بوحدانية الله تعالى ويقول: «لا إله إلاَّ الله» سمع صوتاً من زاوية الغرفة يقول: «صدق عبدي». .

وعندما يقول المحتضر: «يا الله» فإنَّ صوتاً ينبعث من زاوية الغرفة

يقول «لبَّيك عبدي».. فقال العالم: من أنت؟! فقال: أنا معبود هذا الشخص فقد كان يعبدني طول عمره.. أنا الشيطان..!!؟

ومن المواضع التي نستعيذ فيها بالله من الشيطان الرجيم موضعان هما من الأهمية بمكان:

الأول: عند الغضب.. فقد قال الشيطان لنوح عليه السلام: «ابن آدم في يدي في الغضب كالكرة في يد الطفل.. يلعب بها كيف شاء».

الثاني: عند الخلوة والانفراد مع المرأة الأجنبية.. وهو مفاد ما ورد عن أهل بيت العصمة عليهم السلام كقولهم: «ما اختلى رجل بامرأة أجنبية إلاَّ كان الشيطان ثالثهما..».

فلنحذر الشيطان ومصائده.. نستعيذ بالله من شروره.

* * *

القسم الثاني

من مفاهيم القرآن في السلوك الاجتماعي






القرآن سلاح ضد الباطل

قال تعالى:

﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾.

(٤٢ ـ فصلت)

* * *

من الضروري بمكان أن نعتقد بأنَّ الكتاب الذي نسير على هديه وأحكامه ليس كتاباً عادياً، لأنَّ مصدره السماء ومجيئه من عند متّصف بالحكمة مستحق للحمد..

وهذا ما تريد أن تقوله الآية المباركة في ألفاظها، وأمورٌ أخرى نعرفها من خلال البحث..

تقول الآية مشيرة بضمير الشأن للقرآن: ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾..

ولعلَّنا نقول ماذا يريد القرآن من قوله: ﴿الْبَاطِلُ﴾؟!!

والجواب:

في التفسير نجد أقوالاً متعددة منها ثلاثة أقوال:

الأول: معنى الباطل الشيطان.. بمعنى أنَّ الشيطان لا يقدر على أن ينقص منه حقّاً أو يزيد فيه باطلاً.. إذ ربما يتصوّر البعض أنَّ الشيطان لديه قدرة تمكّنه من التجرىء على القرآن الكريم فيحرّف فيه ويزيد وينقص..

فالآية جاءت تردّ على من يحملون هذه الفكرة الخاطئة بقولها: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ - أي الشيطان - مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ..﴾.

الثاني: معنى الباطل أنَّه لا يأتيه كتابٌ من الكتب السماوية من قبله فينسخه وكذا لا يمكن أن يأتي كتابٌ منزل بعد القرآن - جدلاً - فينسخه وذلك لأنَّ القرآن إنَّما جاء ناسخاً للعمل بالكتب السابقة ومعطلاً لأحكامها، لما يحتوي عليه من تعاليم تكفي الإنسانية إلى يوم القيامة ثم إنَّه لا يتنكّر بحال للكتب التي سبقته بل يصدق بها ويثبتها وهذا ما نفهمه من قوله:

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾.

(٣ - ٤ - آل عمران)

الثالث: ما ورد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام وأبي عبد الله الصادق عليه السلام أنَّ المقصود من الباطل هنا:

إنَّ القرآن الكريم: «ليس في أخباره عمّا مضى باطلٌ ولا في أخباره عمَّا يكون في المستقبل باطلٌ، بل أخباره كلّها موافقة لمخبراتها».

وفي هذا الرأي ردٌّ على من يدّعي بأنَّ القرآن عندما يأتي بأخبار الأولين فإنَّه إنَّما يأتي بأساطير وخرافات الأولين..

﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ ﴾.

(٥ ـ الفرقان)

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى نجد القرآن في أخباره عن المستقبل لا يعدو الحق ولا يميل عنه..

ومثال ذلك أخباره عن انتصار الروم على الفرس من بعد أن غلبوهم حيث قال:

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ﴾.

(١ ـ ٤ ـ الروم)

وملخص القصة:

إنّ الروم غلبتهم فارس وظهرت عليهم في عهد النبي ﷺ، وفرح بذلك كفّار قريش من حيث أنّ أهل فارس لم يكونوا أهل كتاب.. وساء ذلك المسلمين.. وكان بيت المقدس لأهل الروم.. كالكعبة للمسلمين.. فدفعتهم فارس عنه..

فجاءت الآية تحمل نبأً بانتصار الروم على الفرس.. فتحقق هذا الانتصار كما أخبر القرآن..

ومثال آخر قول القرآن:

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا.. ﴾.

(١٥ ـ الأحقاف)

ففي واقع الأمر ليس هناك أُمّ تلد غلاماً تكرهه.. وإنَّما هنا تحمل الآية نبأ بميلاد الحسين بن علي عليه السلام للخبر الوارد عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام الذي يقول فيه:

«لمَّا حملت فاطمة بالحسين عليه السلام جاء جبرئيل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: «إنَّ فاطمة ستلد غلاماً تقتله أُمّتك من بعدك» فلمَّا حملت فاطمة عليها السلام بالحسين كرهت حمله وحين وضعته كرهت وضعه، ثم قال: لم تر في الدنيا أُمٌ تلد غلاماً تكرهه ولكنها كرهته لما علمت أنَّه سيقتل»..

وبكلمة فإنَّ الآية المباركة تقول: إنَّ القرآن سلاحٌ ضدّ الباطل مهما كان نوعه..

* * *

الطاعة لمنْ بعد الله تعالى؟!!

قال تعالى:

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

(٥٢ ـ النور)

* * *

من طبيعة الدين الإسلامي أنَّه عندما يعد بشيء من الأشياء فإنَّه يبيّن كيفية الوصول إلى حقيقته وكنهه..

فإنَّه مثلاً عندما يعد بدار الكرامة يبيّن للإنسان كيفية الوصول إليها عبر برنامج يضعه للإنسان..

وفي هذه الآية نجد القرآن ونجد الإسلام قد بيَّنا للإنسان كيف يفوز ويحرز الجزاء الإلهي الكريم وذلك عبر برنامج وضعته السماء.. هذا البرنامج يتلخص في أمور ثلاثة:

١ ـ طاعة الله والرسول ﷺ.. ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾.

٢ ـ خشية الله تبارك وتعالى.. ﴿ وَيَخْشَ ٱللَّهَ ﴾.

٣ ـ التقوى . . ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ .

لكن قد نسأل: كيف نطبق هذا البرنامج في حياتنا اليومية ونفهمه ونعيه . . ؟!

والجواب:

نطبق هذا البرنامج إذا عرفنا معنى الطاعة لله ولرسوله، وكذا عرفنا معنى خشية الله وتقواه . .

أولاً: معنى طاعة الله والرسول:

هي الخضوع والاستكانة لأمر الله ورسوله ﷺ مهما كانت الظروف والملابسات . . حتى لو تعارضت الطاعة مع الأمور والمصالح الشخصية . . إذ لا بدّ من تقديم طاعة الله ورسوله ﷺ حتى على طاعة الأبوين ـ والذين هم أقرب الناس ـ وهذا ما نعيه من قول القرآن:

﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ .

(١٥ ـ لقمان)

لكن قد يعتذر البعض بخوفه من سطوة وسخط الأبوين إن لم يطعهما . . وهذا الاعتذار مرفوض ومردود وغير مقبول . . لكونه يتعارض مع مفهوم طاعة الله ورسوله ﷺ وقد أبلغ إمامنا الهادي عليه السلام حين قال في هذا المعنى:

«من أطاع الله لم يبالِ بسخط المخلوق» .

فكلمة الطاعة إنّما تكون لله ولرسوله ﷺ وللأئمة من بعده صلوات الله عليهم فحسب كما هو واضح في آي القرآن الكريم . .

ثانياً: خشية الله تعالى:

ومعنى الخشية هنا في الآية الرجاء في ما عند الله تبارك وتعالى.. من نعيم مقيم، وعدم الانبهار والغرور بزخارف الدنيا الفانية الزائلة وبريقها الخداع، أي التفكير بما أعدّه الله تعالى للمؤمن فحسب في الحياة الآخرة، وقد ذكر أمير المؤمنين عليه السلام صفات الذين يخشون الله تعالى في كلمة له جاء فيها..

«إنَّ لله عباداً كسرت قلوبهم خشية الله فاستكفوا عن المنطق وإنَّهم لفصحاء عقلاء ألِبَّاء نبلاء يسبقون إليه بالأعمال الزاكية..».

ثالثاً: التقوى:

ويعني الخوف من الله تبارك وتعالى وحده لا سواه، وعدم الشرك في عبادته سبحانه وتعالى.. حتى أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام عدّ التقوى شرطاً من شروط قبول الأعمال التي يتقرّب بها العبد إلى الله تعالى حينما قال:

«صفتان لا يقبل الله سبحانه الأعمال إلاّ بهما التقى والإخلاص».

ولعلَّ أبرز معنى للتقوى ما ذكره إمامنا علي بن الحسين السجّاد صلوات الله عليهما، هو أن يطاع الله عزَّ وجلّ ولا يعصىٰ.. وذلك في خبر أبي حمزة الثمالي رضوان الله عليه حيث قال:

«كنت عند علي بن الحسين عليه السلام.. فجاءه رجل فقال له: يا أبا محمّد إنِّي مبتلى بالنساء فأزني يوماً وأصوم يوماً

فيكون ذا كفّارة لذا.. فقال له علي بن الحسين عليه السلام: إنَّه ليس شيء أحبّ إلى الله عزَّ وجلّ من أن يطاع ولا يعصى، فلا تزنِ ولا تصم.. فاجتذبه أبو جعفر عليه السلام إليه فأخذه بيده فقال: يا أبا زنه تعمل عمل أهل النار وترجو أن تدخل الجنَّة..».

وبالنتيجة فالآية رسمت للمجتمع طريق الفوز بالنعيم الإلهي المقيم عبر هذا البرنامج المتكون من ثلاثة أمور هي: طاعة الله ورسوله وخشية الله والتقوى..

* * *

كيف نتقرّب إلى الله تعالى؟!!

قال تعالى:

﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا. . ﴾.

(٣٧ ـ سبأ)

* * *

إنَّ من أبرز الأشياء التي يتفاخر بها الناس فيما بينهم الأموال والأبناء؛ وهي بحق زينة الحياة الدنيا على حدّ تعبير القرآن الكريم. .

﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾.

(٤٦ ـ الكهف)

ونرى في المجتمع الأموال والأولاد مقياساً بارزاً لوضع الفرد في المستوى العالي وفي القمة. . يحترم ويعامل معاملة خاصة. . على أنّه تاجر أو مليونير. .

فالذي جعله مقرّباً عند الناس. . هي أمواله وكثرة أبنائه ونسله؛ بينما هذان الأمران المال والبنون لا يعتبران مقياساً لقرب العبد من ربّه. .

هذا ما تريد أن تقوله الآية المباركة. . وإنَّما الذي يقرب العبد إلى ربّه أمران قبال الأمرين السابقين:

أ ـ الإيمان بالله ومعرفته وتصديق النبي ﷺ . .

ب ـ العمل الصالح وهو الائتمار بأمر الله تعالى والانتهاء عن نهيه . .

وقد تقول: كثير من الناس يؤمنون بالله ورسوله ﷺ ويأتمرون بأمره وينتهون بنهيه . .

فهل كلهم يعتبرون مقرّبين لله تعالى أم لا؟!!

والجواب:

إنَّ الباري جلَّ وعلا إنَّما يجعلهم في عداد المقرّبين بعدة شروط أهمها:

١ ـ أن تكون أعمالهم الصالحة مشفوعة بتقوى:

ويدلّ على هذا قول الباري عزَّ وجل في سورة المائدة: ﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ ﴾ (٢٧ ـ المائدة).

٢ ـ وأن تكون مشفوعة بالإخلاص:

فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: «عليكم بصدق الإخلاص وحسن اليقين فإنَّهما أفضل عبادة المقرّبين».

٣ ـ وكذا الحب الصادق لله تعالى:

يروى أنَّ عيسى عليه السلام مرَّ بثلاثة نفر قد نحلت أبدانهم وتغيّرت ألوانهم فقال لهم: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟

فقالوا: الخوف من النار. . !

فقال عليه السلام: حق على الله أن يؤمن الخائف. .

ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فإذا هم أشدّ نحولاً وتغيراً وكأن على وجوههم المرايا من النور، فقال: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟!!

فقالوا: نحب الله عزَّ وجلّ. .

فقال: أنتم المقرّبون، أنتم المقرّبون. .

ونسأل سؤالاً أخير: بماذا يتقرّب المرء إلى الله تعالى من الأعمال؟

والجواب:

أولاً: بأداء ما فرض علينا وما حبب. .

فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«المتقرّب بإداء الفرائض والنوافل متضاعف الدرجات».

وقال إمامنا العسكري عليه السلام:

«إنَّ الوصول إلى الله عزَّ وجلّ سفرٌ لا يدرك إلاَّ بامتطاء اللَّيل».

ثانياً: بالرغبة فيما عنده تعالى:

لقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«تقرّب إلى الله سبحانه بالرغبة فيما عنده يزلفك».

* * *

كيف نكونُ مؤمنين رساليين؟!!

قال تعالى:

﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾.

(٢٨ ـ الأنفال)

❋ ❋ ❋

حينما نقرأ القرآن الكريم نجد كثيراً من الآيات التي تهيب بالإنسان وإنَّ له قيمة عظيمة عند الله تعالى..

فآيات تذكر أنَّ الباري أمر الملائكة بالسجود للإنسان..

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ ﴾.

(٣٤ ـ البقرة)

وآية تذكر أنَّ الإنسان خليفة منصَّب من قبل الله في الأرض..

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً.. ﴾.

(٣٠ ـ البقرة)

ونحن نسأل: لماذا كل هذا التقدير للإنسان؟.. لماذا لم يقدر النبات، الجماد، الماء، الهواء.. الحيوانات؟!!

والجواب:

ذلك أنَّ الباري تبارك وتعالى وضع في هذا المخلوق والكائن البشري ما لم يضعه في مخلوقات وكائنات أخرى.. وصدق من قال:

أتحسب أنَّك جرم صغير　　وفيك انطوى العالم الأكبر

وضع فيه قابلية تجعله سيد المخلوقات إن استغلها.. وهذه القابلية هي المسؤولية..

وأخبره أنَّ هناك أموراً بالإمكان أن تعيقه عن تحمل المسؤولية أبرزها أمران ذكرتهما هذه الآية المباركة..

١ ـ الأموال.

٢ ـ الأولاد.

قالت الآية: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ..﴾ أي تنبهوا والتفتوا أيها المسؤولين يوم القيامة أنَّ حبكم لأموالكم وأولادكم قد يصدكم عن مسؤولياتكم صدوداً..

وذلك لأنَّ الولد يشغف أباه حبّاً، وتأخذه نحوه العاطفة والرأفة فيتقاعس من أجله عن العمل الإسلامي.. والتضحية في سبيل الله تعالى..

وقد أثبت هذه الحقيقة النبي الأكرم ﷺ بقوله:

«الولد ثمرة القلب، وأنَّه مجبنة مبخلة محزنة».

وكما يقول ذلك الأعرابي في ولده:

أحبّه حبّ الشحيح ماله　　قد كان ذاق الفقر ثم ناله
إذا يريد بذله بدا له

وكذا الأموال.. هي تماماً كالأولاد، فإنَّها ثمرة عرق الجبين وكدّ اليمين، وهي مجبنة لأنَّ صاحبها يجبن عن قول الحق وفعله خوفاً عليها..

وهي مبخلة.. لأنَّ مالكها يبخل بها حرصاً.. وهي محزنة لأنَّ جامعها يحزن إذا أصيب بها..

إذاً الأموال والأولاد ممكن أن يعيق حبها المؤمن عن أداء مسؤوليته وجاءت الآية لتبين هذا الأمر..

وأيضاً أتت الآية لتبين لنا أنَّ هناك في الآخرة أجرٌ عظيم.. ومعنى الأجر أي الثواب والجزاء وهو الجنَّة.. وتريدنا الآية عندما تشير إلى الجزاء الأخروي أن نجعل هذا الأمر لا يفارق إحساسنا ولا ينفك عن إدراكنا..

وفعلاً: إذا أحسسنا بهذا الإحساس نكون مؤمنون رساليين أي نضحي بالمال والولد من أجل الرسالة فحسب.. كما ضحى الأوائل من المسلمين بأموالهم وأولادهم دفاعاً عن العقيدة الإسلامية ولم يأبهوا ولم يهتزوا عند فقدهم ثمرات قلوبهم وأموالهم..

* * *

منهج العطاء والبذل في القرآن الكريم

قال تعالى:

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾.

(٨ ـ ٩ ـ الإنسان)

* * *

كلنا يعرف ويعلم ويعي أنَّ أهل البيت عليهم السلام يمثلون في منطق رسول الله صلى الله عليه وآله أحد الثقلين.. وأنَّهم في منطقه صلى الله عليه وآله سفينة نجاة..

ومعنى كل هذا أنَّ أهل البيت عليهم السلام هم الأمثولة والأنموذج الذي يمكن للفرد والمجتمع المسلم أن يحتذي به ويتخذ منه قدوة وأسوة.. يتخذ منه الفرد والمجتمع قدوة في السلوك وأسوة في القيم، وأمثولة في تطبيق تعاليم وأحكام الله تعالى وأنموذجاً لصياغة شخصية مؤمنة رسالية..

وكل هذا يعيه الفرد والمجتمع من الثقل الأول وهو كتاب الله تعالى.. الذي لا نقرأ صفحة منه إلاَّ ونجد صفات أهل البيت عليهم السلام وسلوكياتهم وتعاليمهم فيها.. وبين أيدينا آيتان من الآيات التي أشارت

من قريب إلى سلوكيات أهل البيت عليهم السلام، على صعيد المجتمع وعلى مسرح الحياة..

وبالجملة نعي من هاتين الآيتين درسين رائعين من مفاهيم القرآن:

الأول: تعلّمنا الآية الأولى درس الإنفاق والبذل والعطاء..

الثاني: وتعلّمنا الثانية درساً آخر وهو أن لا نعمل ونبذل مقابل الأجر والشكر والكلمات الثنائية..

درس الإنفاق والبذل والعطاء وهذا ما نفهمه من قوله تعالى:

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾.

حيث إنَّ هذه الآية ذكرت صفة من صفات أهل البيت عليهم السلام وهي البذل والعطاء وعلّمتنا هذه الحادثة لأخذ هذه الصفة من أهل البيت عليهم السلام لنهتم بالطبقة المسحوقة في المجتمع والمتمثلة في ثلاثة أصناف ذكرتهم الآية المباركة وهم:

١ ـ المسكين.. وهو البائس العاجز..

٢ ـ اليتيم.. وهو من لا كفيل له يكفله ويعينه على مصاعب الحياة..

٣ ـ الأسير.. وهو من وقع في الأسر بيد المسلمين..

وبطبيعة الحال فإنَّ أُفق الآية لا يقتصر عن كون الإنفاق منحصراً في قضية الإطعام، بل يشمل الكساء والمسكن ومتطلبات الحياة اليومية وكمالياتها.. لهؤلاء الأصناف الثلاثة ومن في حكمهم.

ودرس عدم العمل والبذل والعطاء مقابل الشكر والثناء نعيه من قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾.

أي إنَّ عملنا هذا هو من باب القربة المطلقة لله عزَّ وجلّ.. ومنه نريد الجزاء.. ومنه نريد الشكر سبحانه وتعالى..

وما نعيه من هذه الآية هو أننا إذا قدمنا أي عمل يجب علينا ألاَّ ننتظر من الآخرين شكرنا عليه وثنائهم علينا..

والخلاصة: أنَّ الآيتين تحملان منهجاً عملياً لعملية الإنفاق والبذل والعطاء في المجتمع الإسلامي وهذا المنهج يرتكز على ركيزتين هما:

أ ـ المسارعة في العطاء..

ب ـ رجاء الجزاء والأجر من الله تبارك وتعالى فقط..

* * *

تحية الإسلام أدبٌ رفيع

قال تعالى:

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾.

(٨٦ ـ النساء)

* * *

دأب الدين الإسلامي منذ أن جاء به النبي الأكرم ﷺ إلى صياغة شخصية لا تتحكم فيها الأهواء والشهوات، وتخضع دائماً وأبداً لتعاليم الإسلام.

التعاليم التي لم تدع شاردة ولا واردة ولا صغيرة ولا كبيرة من حياة الإنسان إلاَّ وتدخلت فيها وأطرتها بإطار إسلامي بحت..

علّمت الإنسان كيف يأكل وماذا يأكل ويشرب بعد أن كان طعامه القد والورق وشرابه الطرق كالبهائم، وعلّمته كيف يتناكح ويتناسل، وماذا يلبس وشرّعت له آداباً وقوانينَ أخلاقية ترجع له إنسانيته التي فقدها عبر الجهل والتخلّف..

وكان من هذه الآداب والأخلاق.. تحية الإسلام.. إذ لم تكن موجودة قبل ظهور الإسلام وإنَّما جاء بها الإسلام..

يقال: إنَّ رجلاً خزرجيّاً يدعى أسعد بن زرارة نزل مكة في بداية الدعوة المحمدية على عتبة بن ربيعة.. فحذره عتبة من سماع النبي ﷺ إذا دخل الحرم يريد الطواف، وأن يحشو أذنه قطناً ففعل، ولما طاف بالبيت شرفه الله الشوط الأول وكان النبي ﷺ يجلس في الحجر في الموسم..

قال: ما أجد أجهل مني.. يكون مثل هذا الحديث بمكة فلا أتعرفه حتى أرجع إلى قومي فأخبرهم، ثم أخذ القطن من أذنيه ورمى به؛ وقال لرسول الله ﷺ: أنعم صباحاً، فرفع رسول الله ﷺ رأسه إليه وقال:

«قد أبدلنا الله به ما هو أحسن من هذا تحية أهل الجنَّة السلام عليكم».

فموضع الشاهد من هذه القصة أنَّ هذه التحية أتى بها الإسلام، ومعنى ذلك أنَّ الله تعالى أوحى بها لنبيّه ﷺ وذلك قوله:

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ . . . ﴾.

(٨٦ ـ النساء)

وبالجملة فإنَّ معنى الآية.. أنَّه لو ألقى عليك آخر تحية الإسلام وجب عليك وجوباً عينياً أن تردّ عليه فتقول: «وعليك السلام ورحمة الله» أو «السلام عليك ورحمة الله» ولك أن تردّ عليه فتقول: «وعليك السلام» أمَّا لو رددت عليه وقلت: «وعليك» عندها لم يسقط عنك الواجب بل تؤثم لتركك إيَّاه..

ولتحية الإسلام «المقدسة» آداب وسنن وضعها أهل بيت العصمة وموضع الرسالة عليهم السلام من جملتها:

١ ـ ابتداء الآخرين بالسلام. . لما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«إنَّ أولى الناس بالله وبرسوله من بدأ بالسلام».

يعني. . إنَّ أحقّ الناس بثواب الله تعالى من بدأ بالسلام وأحقّهم وأولاهم بشفاعة النبي صلى الله عليه وآله من بدأ الآخرين بتحية الإسلام. .

٢ ـ قال صلى الله عليه وآله «يسلِّم الصغير على الكبير ويسلِّم الواحد على الاثنين ويسلِّم القليل على الكثير، ويسلِّم الراكب على الماشي، ويسلِّم المار على القائم ويسلِّم القائم على القاعد. .».

٣ ـ قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «خمس لا أدعهن حتى الممات. . والتسليم على الصبيان لتكون سنّة من بعدي. .».

وقد تعجب. . كيف يسلِّم النبي صلى الله عليه وآله على الصبيان؟! وتقول: أليس في ذلك إذلال لشخصيته وتواضع في غير محلّه؟!!

بينما لو تأمّلت في ما يصنعه النبي صلى الله عليه وآله وما أمر به أُمّته فإنَّك ترى في ذلك حكمة لا تغيب عن ذي لبّ راجح. .

والحكمة من وراء السلام على الصبي تتضح. . في أنَّ الصبي يلفّه إحساس بالضعة والصغر والحقارة إذا ما لقي من هو أكبر منه، بينما إذا بدأه الآخر بالتحية أحسّ بالأمن والسلام وأنَّ له قيمة وليس بحقير. .

لكن. . قد تسأل. . إنَّ الآية أوجبت علينا ردّ تحية الإسلام؛

وجاءت عن أهل البيت عليهم السلام روايات تحدد آداب وسنن السلام فما هي الفائدة المترتبة على السلام؟!

والجواب:

إنَّ لتحية الإسلام مردودات إيجابية سواء في الآخرة أو في الدنيا أمَّا في الآخرة فالحسنات المذهبة للسيئات وهو ما نعيه من قول أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

«السلام سبعون حسنة تسعة وستون للمبتدي وواحدة للرادّ».

وفي الدنيا للسلام فائدة عظيمة عبَّر عنها النبي صلى الله عليه وآله بالخير في قوله صلى الله عليه وآله:

«أفشِ السلام يكثرُ خير بيتك..».

إضافة لهذا فإنَّ المؤمن يتعلَّم من التحية الإسلامية دروساً أهمها درسان:

أ ـ الكرم والعطاء.. وهذا نعيه من قول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

«.. إنَّ أبخل النّاس من بخل بالسلام..».

فلو عوّد الإنسان نفسه السلام على من يلقى لخرج بدرس العطاء والكرم ولأصبح الكرم سجيته وعادته التي لا يمكن بحال أن يتخلّص منها ويتركها..

ب ـ التواضع.. إذ السلام ليس مجرّد لقلقة لسان فحسب بل هو ضرب من ضروب التواضع والاحترام للآخرين وهذا ما نفهمه ونعيه من قول إمامنا السادس جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام:

«من التواضع أن تسلِّم على من لقيت».

وبمعنى آخر فإنَّ المسلم إذا ما عوّد نفسه على السلام على الآخرين تدرّبت نفسه وتمرّنت على التواضع..

ولذا نجد إمامنا الباقر عليه السلام ينهانا عن إلقاء التحية على أناس معينين أشار إليهم بقوله:

«لا تسلِّموا على اليهود، ولا على النصارى، ولا على المجوس، ولا على عبدة الأوثان، ولا على موائد شراب الخمر، ولا على صاحب الشطرنج والنرد، ولا على آكل الربا، ولا على الفاسق المعلن بفسقه..».

وذلك لأننا إذا سلَّمنا عليهم نكون قد قدّمنا لهم عربون تواضع، في حين أنَّ الدين الإسلامي لا يسمح للمسلم بالتواضع للكافر وللمنحرف والفاسق المتجاهر المعلن بفسقه..

* * *

أدب الدخول على البيوت
في الإسلام

قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ ﴾.

(٢٧ ـ النور)

* * *

من الأسس التي ركّز عليها الإسلام في بناء حضارته على الأرض، أساس الأخلاق والسلوك، وذلك لما للأخلاق من أثر كبير في بناء وهدم الحضارة على الأرض.. فمن جانب البناء بقدر ما تكون الأخلاق سامية بقدر ما تكون الحضارة راقية وسامية، ومن جانب الهدم بقدر ما تكون الأخلاق منحطة بقدر ما تكون الحضارة في الحضيض ومتصدعة الجدران..

فعلى هذا الأساس ركّز الإسلام على الأخلاق السامية، كأساس لبناء حضارته الشامخة على الأرض..

ونرى هذا التركيز في آي الذكر الحكيم.. والتي منها قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ . . ﴾.

(٢٧ ـ النور)

فهذه الآية جاءت لتقنن سلوكاً إسلامياً لم يكن له لا عين ولا أثر على مسرح الحياة الاجتماعية حيث كان المجتمع تغلب عليه صبغة الجهل والتخلّف الحضاري. . فكان الرجل إذا أراد أن يدخل بيت غيره قال: «حييتم صباحاً وحييتم مساءً ويلج إلى الدار فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد» وكان هذا السلوك سائداً إلى وقت متأخر. .

حتى أنَّ امرأة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إنّي أكون في بيتي على حال لا أحبّ أن يراني عليها أحد لا والدٌ ولا ولد، فيأتي أبي فيدخل عليّ، وإنَّه لايزال رجل من أهلي يدخل عليّ وأنا على تلك الحال فكيف أصنع؟! فنزلت الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ . . ﴾. .

والآية جاءت تعلّم المجتمع الإسلامي كيف يدخلون ويلجون بيوت بعضهم البعض. . لكن لعلّك تسأل. . ما معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾؟!!

والجواب:

هذا السؤال في واقع الأمر ليس سؤالاً ساذجاً وإنَّما هذا السؤال ملأ حيّزاً كبيراً من تفكير الصحابة. . حتى سألوا النبي ﷺ عنه. . فكما يقول أبو أيوب الأنصاري رضوان الله عليه: قلنا يا رسول الله ما الاستيناس؟! فقال ﷺ:

«يتكلّم الرجل بالتسبيحة والتحميدة والتكبيرة ويتنحنح على أهل البيت..».

وسُئل أبو عبد الله الصادق عليه السلام عن الاستيناس في الآية فقال عليه أفضل الصلاة والسلام:

«الاستيناس وقع النعل والتسليم».

وبالنتيجة.. فمعنى الاستيناس أخذ الإذن من أهل المنزل والمسكن قبل الدخول وقبل الولوج عليهم..

بيد أنَّ القرآن الكريم يقسم الناس في أخذ الإذن عند دخول بيوت ومنازل الغير إلى قسمين:

أ ـ من لم يبلغ الحُلم..

ب ـ من بلغ الحُلم..

أ ـ من لم يبلغ الحلم..

ونعيه من قوله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ.. ﴾.

(٥٨ ـ النور)

فالآية ترشد المؤمنين بتعليم الذين لم يبلغوا الحُلم أن يستأذنوا ثلاث مرّات في ثلاثة ظروف:

١ ـ قبل صلاة الفجر وذلك لأنَّ الإنسان يقوم إلى الصلاة وفي

الغالب تكون عليه ملابس النوم ـ الملابس الداخلية ـ التي تكشف عن أجزاء كبيرة من الجسم فتجعله شبه عاري. .

٢ ـ وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة. . وقت الراحة والقيلولة. .

٣ ـ ومن بعد صلاة العشاء. . إذ يقبل اللّيل بظلامه العاكر فيستعدّ الإنسان للنوم ويتخلّص من ثيابه التي يظهر بها إلى النّاس ويمضي في شأنه الخاص. .

وعندما ترشد هذه الآية المؤمنين بتعليم الأطفال الاستيذان إنّما تحرص على عدم إثارتهم جنسياً، لأنّ الطفل لديه أيضاً غريزة جنسية وكل ما في المسألة أنّ هذه الغريزة لا تستيقظ إلاّ عند سنّ البلوغ وبالإمكان إثارتها مبكراً قبل البلوغ. .

ب ـ ومن بلغ الحُلم:

ونعيه من قوله تعالى:

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.

(٥٩ ـ النور)

أي حكم الذين بلغوا الحُلم في الاستيذان هو وجوب الاستيذان في كلّ وقت وليس فقط الأوقات الثلاثة التي ذكرتها الآية الآنفة الذكر. .

ويستأذنوا حتى على أقرب الأقرباء كالأم والأب والابنة والأخت. . لما ورد عن أهل البيت صلوات الله عليهم. .

فقد سأل أحدهم النبي ﷺ: أأستأذن على أُمي؟!

فقال ﷺ: «نعم».. فقال الرجل وعلامة التعجّب بادية على وجهه: إنّها ليس لها خادم غيري أستأذن عليها كلما دخلت؟!

فقال ﷺ: «أتحبّ أن تراها عريانة؟!».

فقال: لا.

قال: «فاستأذن عليها..».

وورد عن صادق أهل البيت عليه السلام قوله:

«يستأذن الرجل على أبيه، ويستأذن الرجل على ابنته وأخته إذا كانتا متزوجتين..».

* * *

الزواج بمفهوم إسلامي

قال تعالى:

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ..﴾.

(٣٢ ـ النور)

* * *

يقول المناطقة في تعريف الإنسان بالجنس والخاصة: «إنَّ الإنسان حيوان ناطق».

ومعنى ذلك أنَّ الإنسان داخل تحت عنوان الحيوانية بيد أنَّه يتميّز بخاصة الناطقية..

ولكن مع تخصصه بالناطقية لا ينفي كونه حيواناً، وإذا كان الإنسان حيواناً علمنا أنَّ له غرائز وضعها الله تعالى فيه ولا بدّ من إشباعها..

كغريزة الأكل والشرب، وغريزة النوم، وغريزة حبّ الاستطلاع، وغريزة حبّ الجمال، وغريزة التديّن، وغريزة الجنس...

ولكن أعتى وأقوى غريزة في الإنسان يقول الخبراء.. هي غريزة

الجنس، ولذا ما سمعنا أنَّ غريزة الأكل والشرب أو أي غريزة أخرى حطّمت حضارة من الحضارات الإنسانية على الأرض بيد أنَّ التاريخ ينقل لنا أنَّ الغريزة الجنسية كانت سبباً في انهيار:

أ ـ **الحضارة اليونانية..** والتي هي أرقى الحضارات القديمة وأزهرها تمدناً في التاريخ، كان السبب الأساس في انهيارها هو الإباحية الجنسية.. إذ كانوا في احتفالاتهم الدينية يندفع فيهم الذكور لاحتضان الإناث مستميتين في الوصول إلى لذّاتهم الجنسية..

ب ـ **الحضارة الرومانية..** وهي ليست أقل قدراً من الحضارة اليونانية في المجد حتى دبّ فيها مرض الانحلال الجنسي.. فكان من حفلاتهم حفلة الزهرة «Flor» حيث كانت البغايا يسرحن ويمرحن في المدينة؛ عاريات الأجسام، ويرتكبن الفاحشة على قارعة الطريق..

وقيل عن يوليس قيصر: أنَّه كان يغشى كل امرأة متزوجة.. وأغسطس الذي كانت حياته في شبابه مملوءة بممارسة البغاء.. حتى أيام شيخوخته، ومن جرّاء الإباحية انهارت حضارة الرومان..

ج ـ وفرنسا في عام ١٧٩٩م ألغيت فيها جميع القوانين التي تتعلّق بالبغاء وحلّ محلّها قانون أصدرته الجمهورية الفرنسية وصار ساري المفعول في جميع بلدان الجمهورية وقد أطلق الحرية لممارسة الاتصال الجنسي طوعاً لا كرهاً..

وعندها أصبحت ممارسة الحياة الجنسية تجارة علنية وحرّة.. وكان من جرّاء ذلك أن انتشرت الرذائل انتشاراً عظيماً في فرنسا، وأصبحت باريس مسرحاً لتعاطي الفحشاء، وشوارعها تعجّ بالمومسات حتى أصبح من الصعب المحافظة على الحشمة والعفة أن يعيشا في ذلك الجوّ المشحون بالفحش والرذيلة، وكان عدد مومسات باريس في أوائل

القرن التاسع عشر نحو ٤٥٠٠ مومسة وهؤلاء كنّ على الغالب من سكّان باريس والمناطق المجاورة. .

ونتيجة حتمية لهذا الانحلال المروع كان الجنود الفرنسيون يهربون من المعسكرات التي أعدّت للقتال في الحرب العالمية الأولى. .

وكان أهم الأسباب في انهيار فرنسا في الحرب العالمية الثانية هو تفسّخ الشعب الفرنسي نتيجة لانتشار الرذيلة بين أفراده. .

وإنَّما انهارت هذه الحضارات لتأثير الغريزة الجنسية عليها حيث تركتها وعاملتها معاملة اللامقيدة وفتحت لها المجال. . وهي الغريزة التي تنخر في منسأة كيان الإنسانية إذا أساءت استعمالها. .

إذ أنَّها لا تلتهب إلاَّ على حساب سائر غرائز الإنسان، ذلك أنَّ التهابها يقتل الشعور بالمثل والقيم والأخلاق لدى المبتلى به وللالتهاب آثار نفسية وجسمية أهمها:

١ ـ يذهب باعتدال الفكر ويجرّ الفرد للضعف العقلي. .

٢ ـ يجعل الشعب لا يهتم إلاَّ بالشهوات الدنيئة. .

٣ ـ يجعل الأُمّة تبتلى بأمراض كثيرة وخطيرة مثل السفلس، والزهري، والسيلان البني، والأيدز. . كما تدلّ على ذلك الإحصاءات الواردة من الولايات المتحدة وأوروبا. .

تقول هذه الإحصاءات بلغة الأرقام: يعالج في المستشفيات الرسمية في أمريكا كل عام (٢٠٠,٠٠٠) مريض بالزهري و(١٦٠,٠٠٠) مصاب بالسيلان البني، وأمَّا الذين يراجعون الأطباء خارج المستشفيات فهم أكثر بنسبة (٦١٪) في الزهري و(٨٩٪) في

السيلان، وهذا يعني أنَّ المصابين بالزهري في أمريكا يربو عددهم على (٥٠٠,٠٠٠) وبالسيلان على (١,٢٠٠,٠٠٠) إنسان..

إذن هذا هو أكبر دليل على أنَّ الشهوة الجنسية هي أعتى شهوات الكائن البشري..

ولنا أن نسأل.. هل بإمكان الإنسان أن يتحرز من الوقوع في شرك هذه الغريزة الجنسية؟!!

والجواب:

جاء به الدين الإسلامي بتشريعه لقانون الزواج والذي عبّرت عنه الآية المباركة بالنكاح حيث قالت:

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ﴾.

فهنا الآية أشارت إلى الطريق الوحيد، والباب الوحيد الذي فتحه الإسلام لإشباع غريزة الجنس، وهو الزواج، وما دونه من شذوذ جنسي كالزنا واللواط والسحاق، والعادة السرية كلّه حرام لا يبيحه الدين الإسلامي..

وبنظرة تدبّرية للآية المباركة نجد أنَّها تشير إلى المنهج الرسالي السليم والذي هو التزويج والزواج..

الآية تأمر بالزواج وتزويج العزّاب الذين هم في لغة القرآن الأيامى، وهذا الأمر من صميم الشريعة المقدسة إذ نرى كثيراً من الآيات والأخبار تدعو إليه..

فمن الآيات قوله تعالى:

١ ـ ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ﴾.

(٣ ـ النساء)

٢ ـ ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا ﴾ .

(٢١ ـ الروم)

٣ ـ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ .

(٣٨ ـ الرعد)

ومن الأخبار قوله ﷺ :

١ ـ «ما بني في الإسلام بناءٌ أحبّ إلى الله عزَّ وجل وأعزّ من التزويج» .

٢ ـ «من أحب أن يلقى الله طاهراً مطهّراً فليلقه بزوجة» .

فالزواج إذن مرغوب فيه من قبل الشريعة الإسلامية بالضرورة وهذه الآيات والأخبار خير دليل . .

ولكن قد يلوح ببالنا سؤال حاصله . . إنَّ الإسلام حثّ على التزويج فهل وضع لنا برنامجاً ومنهجاً نسير عليه إذا ما أردنا زواجاً مباركاً؟ ! !

والجواب :

بالطبع نعم ونحن في هذه العجالة نتطرّق إلى هذا المنهج مستدلّين بما جاء عن أهل بيت العصمة عليهم السلام من أخبار . .

أولاً: اختيار الزوج:

وضع أهل البيت عليهم السلام (القرآن الناطق) مواصفات يجب تواجدها في المتقدّم للزواج كي يقبل وأهمها موجود في الروايات . .

١ ـ «إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته يخطب فزوّجوه إنْ لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير. .».

٢ ـ جاء رجل إلى الحسن عليه السلام يستشيره في تزويج ابنته؟!!

فقال عليه السلام: «زوجها من رجل تقي، فإنَّه إن أحبّها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها. .».

٣ ـ وعن إمامنا الرضا عليه السلام قال: «إيَّاك أن تزوّج شارب الخمر فإن زوّجته فكأنَّما قدت إلى الزنا. .».

فهذه الروايات الثلاث ذكرت مواصفات الزوج أو أهمها وهي:

* الدين.
* الأمانة.
* التقى.
* عدم شرب الخمر.

ثانياً: اختيار الزوجة:

وأيضاً ديننا الإسلامي لم ينس أن ينوّه للمواصفات التي يجب أن تتوفّر في الزوجة فذكرها في القرآن والسنّة النبوية. .

فمن الآيات قوله تبارك وتعالى:

﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٌ مِّن مُّشۡرِكَةٍ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ﴾.

(٢٢١ ـ البقرة)

﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ﴾.

(٢٢١ ـ البقرة)

وفي الأخبار:

١ ـ قال ﷺ: «تزوجوا في الحجر الصالح فإنَّ العرق دسّاس».

٢ ـ وقال أيضاً: «تخيّروا لنطفكم فإنَّ النساء يلدن أشباه إخوانهن وإخوتهن».

٣ ـ وورد عنه: «إيَّاكم وخضراء الدمن..».

قيل: يا رسول الله وما خضراء الدمن؟!

قال ﷺ: «المرأة الحسناء في منبت السوء».

٤ ـ وله ﷺ: «إيَّاكم وتزوّج الحمقاء فإنَّ صحبتها ضياع وولدها ضباع..».

والخلاصة: فإنَّ المنهج الذي وضعه الدين الإسلامي للزواج يتلخّص في ما ذكرته الروايات من مواصفات يجب أن تتوفّر في كلا الدعامتين للأسرة: الزوج والزوجة..

* * *

لمن يريدُ السعادة..!!

قال تعالى:

﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾.

(٢٦٩ ـ البقرة)

* * *

كيف يحصل الإنسان على السعادة في الدنيا والآخرة؟!! هذا السؤال دوخ الإنسانية على مرّ الزمن وتوالي الأيام، حتى أجاب عنه الكثير بإجابات متعددة ومتنوعة..

فجماعة تصوروا أنَّ السعادة في جمع المال والرفاه الاقتصادي.. وجماعة قالوا إنَّ السعادة إنَّما تكون في الحياة المتواضعة البعيدة عن التكلّف والتعقيد..

وأمام هذا السؤال وقفت الأيدلوجية الإسلامية لتقول وبضرس قاطع:

﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا... ﴾.

ونقول: إنَّ الإسلام أجاب عن هذا السؤال بهذه الآية عندما نتأمل في معاني ألفاظها وأبعادها..

فكلمة الحكمة في الآية تمثّل المحور للجواب على هذا التساؤل وهذا ما يحكيه معناها..

ففي اللغة معناها: معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم وكذا العلم والتفقّه والعدل..

أمّا في التفسير وكلمات المعصومين عليهم السلام فلها عدّة معاني تضمنتها عدّة آراء..

الأول: المقصود من الحكمة السداد والصواب ووضع الشيء في موضعه، يعني أن يطبق الإنسان أوامر عقله الفطن في أمور الدنيا ويترك الهوى والشيطان والأضاليل جنباً، وكذلك يترك كل شيء لا يمت إلى الجدية بصلة؛ بمعنى أن تكون حياته ذات هادفية، لا حياة عبث ولا مبالاة ولا مسؤولية..

الثاني: المراد من الحكمة المعرفة والتفقّه في الدين، وهو ما ذهب إليه إمامنا أبو عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية المباركة حيث قال:

«إنَّ الحكمة المعرفة، والتفقّه في الدين فمن فقه منكم فهو حكيم..».

ومن هنا يتبادر إلى أذهاننا من قول إمامنا الصادق عليه السلام أنَّ الحكمة التي يعطيها الباري الإنسان ويكون حكيماً بها هي اتّصافه بالمعرفة والثقافة وعلى الأخص معرفة أحكام المعتقد الإسلامي، إذ أنَّ الهاضم لأحكام الدين يكون قد عرف ووعى خريطة ما يعتقد به فيسير على هدى وسداد لا أن يتخبّط في الأحكام ويرتكب ما لا يحلّه الله تعالى..

ويؤيد قول الصادق عليه السلام ما قاله جدّه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:

«من أراد الله به خيراً فقهه في الدين».

الثالث: الحكمة هي طاعة الله ومعرفة الإمام عليه السلام لما ورد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام حين سُئل عن قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ..﴾ فأجاب:

«طاعة الله ومعرفة الإمام».

وفي واقع الأمر أنَّ الإنسان المؤمن إذا أطاع الله تبارك وتعالى تحقق لديه الالتزام بنظام السماء الموضوع من قبل الله تعالى لتنظيم حياة الإنسان..

وطاعة الإمام ومعرفته وهي كمال الحكمة والسعادة لبني البشر ولذا عقب الباري بعد قوله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ..﴾ فقال.. ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا..﴾.

وحصيلة هذه الأقوال ندرك:

أولاً: أنَّ الآية تريد أن تقول: إنَّ الإنسان إذا أراد أن يكون سعيداً في الدنيا والآخرة، ما عليه إلاَّ أن يسعى للمعرفة والتفقّه في أمور دينه وطاعة الله تعالى ومعرفة الإمام، وبمشيئة الله سيحصل على الحكمة التي هي السعادة الأبدية والخير الكثير على حدّ تعبير القرآن الكريم..

وثانياً: من السنّة ندرك أنَّ الآية تشير إلى ضرورة الاعتراف بالأئمة عليهم السلام كقادة رساليين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمعرفة للإمام لا تكفي بمعرفة نسبه وشخصه بل بالامتثال لأوامره ونواهيه وجعله قدوة وأسوة..

* * *

المُهاجرون والأنصار في القرآن

قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾.

(٧٤ ـ الأنفال)

* * *

نقرأ في القرآن الكريم اسم المهاجرين والأنصار.. وعلّنا نسأل من هم المهاجرون؟ ومن هم الأنصار؟!!

وكذلك نسأل.. لماذا أشار القرآن إلى هاتين الجماعتين؟!

والجواب على السؤال الأول هو:

المهاجرون: هؤلاء نسبهم القرآن إلى الهجرة.. والهجرة معناها ترك الوطن إلى وطن وبلد آخر..

والخروج من الوطن إلى وطن آخر له عدّة أسباب ومبررات منها:

أ ـ لطلب الرزق.

ب ـ لطلب العلم.. وتحصيله.

ج - خوفاً على الدين..

وهؤلاء الذين سماهم القرآن بالمهاجرين من هذا النوع خرجوا من وطنهم خوفاً على دينهم وعقيدتهم من بطش قريش.. لأنّهم كانوا في مكة المكرمة، والدين الإسلامي في أول بادرة له.. وفي أيامه الأولى.. فهاجروا من مكة للحبشة، والمدينة المنورة.. فارين بعقيدتهم.. فلذا سمّاهم القرآن مهاجرين..

والأنصار: هم من نسبهم الله تعالى إلى النصر؛ إلى نصر رسول الله ﷺ؛ نصروا النبي واحتضنوا دعوته في حين أنّ مكة والطائف لم تستقبل دعوة النبي ﷺ وتحتضنها؛ ولذا وسمهم القرآن الكريم بالأنصار.

أمّا الجواب على السؤال الثاني فهو:

نحصل عليه ونعيه من الآية الكريمة.. قوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ ﴾ الآية.

والبحث في هذه الآية يكون ضمن نقاط:

الأولى: الآية أشارت إلى المهاجرين بقولها: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ.. ﴾ وحسب التفاسير إنّهم من هاجروا من مكة إلى المدينة..

لكن الآية لا تنحصر في هؤلاء إذ المورد لا يخصص الوارد، بل هو أوسع دائرة وأفقاً من ذلك، فحكم الهجرة ساري المفعول في الدين الإسلامي ويدلّ على ذلك تقسيم المشرّع الإسلامي الهجرة من حيث الحكم إلى ثلاثة أقسام:

١ - واجبة.

٢ ـ مستحبة.

٣ ـ مباحة.

وتجب الهجرة إذا اعتنق الإسلام وهو في بلاد الكفر.. ولا يستطيع ممارسة التعاليم؛ وليس لديه عذرٌ يمنعه من الهجرة.. ودليل الوجوب ما جاء في القرآن الكريم:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ ﴾.

(٩٧ ـ النساء)

وتستحب الهجرة إذا أسلم الإنسان في بلاد الكفر وبإمكانه أن يؤدّي تعاليم دينه بكل حرية وعدم مضايقة..

وتباح الهجرة إذا أسلم في بلاد الكفر، ولكن لديه عذر يمنعه من السفر كالفقر والمرض، وبإمكانه أن يؤدّي ويمارس التعاليم..

ومن هنا فإنَّ الهجرة حكمها جاري في الدين الإسلامي.. ولا تختص بمن هاجروا في زمن الرسالة الأول، هذا ما أشارت إليه الآية المباركة.

الثانية: الشيء الثاني الذي أشارت له الآية المباركة هو قضية الأنصار، وذلك قولها:

﴿ .. وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ ﴾.

يعني أشارت إلى من احتضنوا دعوة النبي ﷺ في المدينة المنورة بعد أن خذلها كفّار قريش وحاربوها وعذّبوا المسلمين..

وبالطبع الآية لا تقتصر على هؤلاء فقط، بل هي أوسع أفقاً من ذلك فهي تشير أيضاً إلى من ينصر الإسلام.. ينصره بلسانه أو ينصره

بعمله بفعله، لأنَّ النصر للدين تارة يكون باللسان وأخرى بالفعل بالعمل الرسالي والقلم . .

والعمل الرسالي أفضل من اللسان . . حسان بن ثابت نصر الدين بلسانه . . يا حسان أنت مؤيدٌ بروح القدس ما نصرتنا بلسانك . . أمير المؤمنين نصر الدين بلسانه وسيفه وعمله . . خديجة بمالها . .

فأنصار الدين غير منحصرين بمن كان في زمن النبي ﷺ .

الثالثة: والشيء الثالث الذي أشارت له الآية المباركة هو الأجر والجزاء الذي أعدّه الباري تبارك وتعالى لمن يهاجر في سبيل الله تعالى ولمن ينصر دين الله تعالى حيث قالت:

﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ .

لهم مغفرة من عنده تبارك وتعالى للذنوب والجرائر والمعاصي التي ارتكبوها، وكذلك لهم رزق كريم . . والرزق الكريم لا يكون في الدنيا . . لأنَّ الإنسان في الدنيا لا يحصل على رزق كريم أبداً . . وإنَّما يحصل على الرزق الكريم في الجنَّة . .

والنتيجة: فإنَّ الآية تريد أن تقول للمسلمين عدّة أشياء:

الأول: إذا دعتكم الظروف إلى الهجرة من أجل عقيدتكم فهاجروا . .

الثاني: عليكم بنصرة الدين فلا تخذلوه فإنَّه بحاجة لنصرتكم .

الثالث: إعلموا أنَّ هناك أجراً ينتظركم مِن عند الله تبارك وتعالى متى سرتم على هذا الطريق الرسالي . .

* * *

مصلح آخر الزمان

قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

(١٠٥ ـ الأنبياء)

* * *

الاعتقاد بمصلح يأتي في آخر الزمان فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، اعتقادٌ قديم قِدم الأديان السماوية..

فاليهود على اختلاف أسباطهم يعتقدون بمجيء المصلح في آخر الزمان وهو المسيح من أسباط يهوذا من سلالة داود عليه السلام فيجلس على كرسي سليمان عليه السلام ويحكم العالم بالقسط والعدل.. ولعلَّ اعتقادهم هذا نابع عمَّا جاء في الزبور كتاب داود عليه السلام من نبوءة بمجيء المصلح وهو ما حكاه القرآن وعناه بقوله:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

(١٠٥ ـ الأنبياء)

والنصارى أيضاً بتعدد واختلاف طوائفهم يؤمنون بأنَّ المسيح سيأتي في آخر الزمان ويحكم العالم ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً..

وعلى هذا الاعتقاد شتّى مذاهب المسلمين، فهم يعتقدون بالمهدي، المنتظر وأنّه يخرج مع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ويحكمان العالم بالعدل والقسط..

ولعلَّ اعتقاد المسلمين هذا مرتكز على ما جاء في الكتاب المجيد من آيات تشير إلى ذلك وروايات تؤكّد ذلك..

فمن الآيات قوله تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

(٣٣ ـ التوبة)

ومن الروايات: الرواية والحديث الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي».

وبالجملة فإنَّ الاعتقاد بقضية المصلح اعتقاد ليس مستحدثاً بل قديم؛ ونحن الشيعة على الخصوص نعتقد به، وعلى التحديد نعرّف هذا المصلح أنّه:

ـ محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام..

ـ وأُمه تدعى «نرجس» والتي ينتهي نسبها إلى قيصر الروم..

ـ وقد ولد عليه السلام في ١٥ من شعبان ٢٥٥هـ في سرّ من رأى..

ـ وكنيته ككنية النبي صلى الله عليه وآله أبي القاسم وأشهر ألقابه المهدي والمنتظر والغائب، والسبب في تلقيبه بالغائب هو غيابه عن الناس وتستره عن الظلمة والحكّام الجائرين خوفاً من القتل والإعدام لما يشكله لهم من خطر على كراسيهم..

هذا وإن علمائنا يقسمون غيبته إلى قسمين أو إلى غيبتين بتعبير أصح وقد صنفوا فيهما الكتب إحداهما غيبة صغرى والثانية كبرى.

ويعنون بغيبته الصغرى غيبته منذ أن ولد إلى وفاة السفير الرابع من سفرائه، إذ كان له سفراء في غيبته الصغرى يشكلون حلقة الوصل بينه وبين شيعته وهم:

١ ـ عثمان بن سعيد العمري..

٢ ـ محمد بن عثمان بن سعيد العمري..

٣ ـ الحسين بن روح النوبختي..

٤ ـ علي بن محمد السمري..

وعندما مات السفير الرابع سنة ٣٢٨هـ ابتدأت غيبته الكبرى عن الأبصار..

شبهتان وردّهما:

الأولى: كيف بقي المهدي عليه السلام كل هذه المدة من الزمان على قيد الحياة؟!!

وجوابها:

نجيب على هذه الشبهة الموضوعية من جوانب ثلاثة:

١ ـ إنَّ مسألة الأعمار وطولها وقصرها خاصة بالله تبارك وتعالى، فهو الذي يطيل عمر الإنسان وهو من يتحكم في قصره..

٢ ـ التاريخ يثبت أنَّ هناك من عاش عمراً مديداً يربو على الخمس مائة سنة أو يزيد..

فهذا نبي الله نوح عليه السلام لبث في قومه ٩٥٠ سنة على ما ذكره القرآن الكريم:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾.

(١٤ ـ العنكبوت)

وغير نوح عليه السلام الخضر عليه السلام الذي أجمع المسلمون على بقائه إلى يومنا هذا عدا فرقتين وهما المعتزلة والخوارج..

٣ ـ إنَّ الطبّ الحديث أثبت إمكانية بقاء الإنسان فترة أكبر من الزمن على قيد الحياة.. ففي الآونة الأخيرة صدر تقرير طبي نشرته الصحف يؤكد على أنّه بالإمكان جعل متوسط عمر الإنسان ١١٥ سنة والذي أصدر هذا التقرير، دكتور من جامعة أكسفورد البريطانية، واشترط هذا الطبيب لكي يكون متوسط عمر الإنسان ١١٥ سنة أن يتدخل في ذلك علم الهندسة الوراثية، وكذلك لا بدّ أن يخضع الإنسان لرياضة معينة وغذاء وجوّ صحيين..

وبكلمة فإنَّ هذه الشبهة مردودة بما طرحناه من جوانب ثلاثة..

الثانية: يقول لنا الخصم هب أننا سلمنا أنَّ المهدي موجود بالفعل لكن ما هي الفائدة والمنفعة من إمام غائب لا يُرى؟!

والجواب:

يمكننا ردّ هذه الشبهة بعدّة أجوبة:

الأول: أجاب عن هذه الشبهة النبي الأكرم ﷺ عندما قال له جابر الأنصاري رضوان الله عليه.. هل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته؟!

فقال ﷺ:

«إي والذي بعثني بالحق نبياً.. إنّهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بنور الشمس وإن جللها سحاب».

الثاني: إنَّ الله تعبدنا بغيبة الإمام عليه السلام كما تعبدنا بأمور أخرى كعدد ركعات الصلاة وكأفعال الحج وتروكه.. فلا مندوحة للمناقشة فيها إذ هي أمور توقيفية وتعبدية..

الثالث: لقد ابتلانا الله تعالى بغيبته عنّا كما ابتلىٰ أُمماً قبلنا بغيبة أنبيائها، فقد غاب موسى عن شيعته أربعين ليلة فتبين من بقي على اتباعه ومن شايع السامري وعبد العجل..

ومسألة الابتلاء والافتتان غرضها تبيين الصادق من الكاذب والخبيث من الطيّب وإلى هذا أشار القرآن حين قال:

﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾.

(١ ـ ٣ ـ العنكبوت)

﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ .. ﴾ .

(١٧٩ ـ آل عمران)

* * *

ظهور المهدي ظهورٌ للإسلام

قال تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

(٣٣ ـ التوبة)

* * *

أصبحت الإنسانية وبعد مرور زمن كبير من عمر التاريخ تبحث عن حلول لمشاكلها التي عجزت الأنظمة والقوانين والمناهج الأرضية عن حلّها وحسمها..

فبالأمس القريب سقط النظام الماركسي الذي كان يمثّل في الاتحاد السوڤييتي سابقاً النظام الأساس..

وسترينا الأيام وتبدي لنا ما نجهله من سلبيات الأنظمة الأرضية..

ولسائل أن يسأل:

ما هو النظام الذي تجد فيه الإنسانية ضالتها المنشودة..؟!

وهل سيكون هذا النظام يوماً من الأيام السائد والمسيطر على أنحاء الكرة الأرضية؟!

الجواب على هذين السؤالين نجده في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾..

فالسؤال الأول جوابه في قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ.. ﴾..

والسؤال الثاني جوابه في قوله تعالى: ﴿.. لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

فسؤالنا: ما هو النظام الذي تجد فيه الإنسانية ضالتها المنشودة..؟!

أجابت عنه الآية بقولها: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ ﴾.. فالآية أجابت إنّه نظام الإسلام إنّه التعاليم الموجودة بين دفتي القرآن وفي كلمات المعصوم عليه السلام.. إنّه الدين الذي جعل من العرب الأعاربة ومن الجاهلية الجهلاء أصحاب حضارة امتدّت لتشمل الكرة الأرضية.. «أذلّ الأديان بعزّته ووضع الملل برفعته وأهان الأعداء بكرامته» على حدّ تعبير أمير المؤمنين صلوات الله عليه..

وسؤالنا هل سيكون هذا النظام يوماً من الأيام السائد والمسيطر على الكرة الأرضية؟!

أجابت عنه الآية بقولها: ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ وفحواها إنّ الدين الإسلامي والنظام الإسلامي ما جاء

إلاّ ليسيطر ويظهر ويعلو على جميع المبادىء والأطروحات والأنظمة الأرضية.. ولكن متى؟!!

يجيب إمامنا الباقر عليه السلام قائلاً:

«إنَّ ذلك يكون عند خروج المهدي من آل محمّد فلا يبقى أحدٌ إلاّ أقرَّ لِمحمّد صلى الله عليه وآله».

وعليه فيجب علينا ونحن ننتظر خروج المهدي عليه السلام أن نهيء الأرضية المناسبة لاستقباله وذلك بعدّة أمور أهمها:

* أن نكون واعين بفكر أهل البيت عليهم السلام..

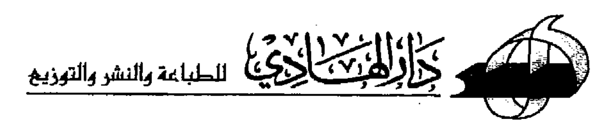
* أن نكون نشطين في بث تعاليم أهل البيت على مسرح الحياة الاجتماعية.

* أن نجعل من بيوتنا نماذج مصغّرة لأبيات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم..

* * *

الفهرس





هاتف: ٥٥٠٤٨٧/ ٠١ - ٠٣/٨٩٦٣٢٩ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٨٦/٢٥ غبيري - بيروت - لبنان
Tel.:03/896329 - 01/550487 - Fax: 541199- P. O. Box: 286/25 Ghobeiry - Beirut - Lebanon
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com